السياسة الدينية للخليفة العباسي القادر بالله

(٣٨١-٤٢٢هـ/٩٩١-١٠٣١م)

دكتور

فهمي عبد الغني المصري

مدرس التاريخ والحضارة الإسلامية

جامعة الأزهر

السياسة الدينية للخليفة العباسي القادر بالله (٣٨١-٤٢٢هـ/٩٩١-١٠٣١م).

دكتور
فهمي حسنين
قسم التاريخ والحضارة، كلية اللغة العربية بالقاهرة
جامعة الأزهر، جمهورية مصر العربية
fahmyelmasry@azhar.edu.eg

ملخص البحث

تولى الخليفة العباسي القادر بالله الخلافة في فترة سياسية عصيبة تجلى فيها استئثار أمراء بني بويه بالسلطة، وقد استطاع القادر بالله أن يحد من نفوذ هؤلاء الأمراء، وأن يعيد للخلافة العباسية قوتها وهيبتها ومكانتها، اشتهر الخليفة القادر بالله بحبه لأهل السنة والجماعة في حين كان العراق في عهده يموج بالتشيع والفرق الأخرى المخالفة لمذهب أهل السنة بالإضافة إلى دعاة الفاطميين، فأخذ الخليفة القادر بالله يتصدى بقوة لهذه الحركات الدينية ومناصرة أهل السنة. وتهدف إلى إظهار دور الخليفة القادر في مواجهة المخالفين لمذهب الخلافة العباسية السنية والتي تتمثل في مواجهة البويهيين والمعتزلة والفاطميين ومحاولاتهم فرض التشيع، كما تهدف إلى إظهار سياسته الدينية الخارجية والتي تمثلت في تحالفه مع السلطان محمود الغزنوي للقضاء على المخالفين لمذهب أهل السنة وما حققته هذه السياسة من نتائج.

الكلمات المفتاحية: السياسة الدينية – الخليفة العباسي القادر بالله– أهل السنة – الفرق المخالفة – البويهيون– المعتزلة– الفاطميون.

The religious policy of the Abbasid Caliph al-Qadir Billah

(381 - 422 AH / 991 - 1031 AD)

Fahmi Hassanein
Department of History and Civilization , Facultyof Arabic language , Al-Azhar University ,Cairo ,Egypt.
E-mail: fahmyelmasry@azhar.edu.eg.

Abstract

The Abbasid Caliph al-Qadir took over the caliphate in a difficult political period in which the princes of Bani Buwayh had been brought to power. His reign is rife with Shiism and other groups contrary to the doctrine of the Sunnis in addition to the Fatimid da'is. The Caliph al-Qadir Billah took up these religious movements and supported the Sunnis.

Objectives of the study،

It aims to show the role of the Caliph al-Qadir in confronting the violators of the Sunni Abbasid Caliphate, which is to confront the Bawiyyans, Mu'tazila, and Fatimids, and their attempts to impose Shiism. consequences. It also aims to show his foreign religious policy, which was in his alliance with Sultan Mahmoud Ghaznavi to eliminate the violators of the doctrine of the Sunnis and the results achieved by this policy.

Key words: Religious policy - the Abbasid Caliph al-Qadir Billah - Ahl al-Sunnah - dissenting teams - Boeheon - Mu'tazila - Fatimids

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين. وبعد..

فقد تميزت فترة الخلافة العباسية قبل عهد القادر بالله (٣٨١-٤٢٢هـ/٩٩١- ١٠٣١) بازدياد نفوذ البويهيين حتى وصل بهم الحد إلى أنهم يولون من يريدون ويخلعون من يشاءون، وكان الخلفاء قبل القادر بالله ألعوبة في أيدي الأمراء البويهيين الذين تمكنوا من السيطرة عليهم بل نال الخلفاء من الذل والهوان ما نال غيرهم في عصر نفوذ الأتراك السابق لهذا العصر، ولم يعد للخلفاء إلا القليل والذي لم يكن يعدو إلا مظاهر جوفاء لا تدل على شيء من السلطة، فلم يبق للخلفاء إلا النفوذ الديني كتعيين القضاة وأصحاب الصلاة والخطبة والقائمين على المساجد.

كما حاول البويهيون السيطرة المذهبية على الدولة، فعملوا على نشر المذهب الشيعي مع أنهم يعملون في ظل خليفة سني، فناصروا الشيعة على أهل السنة وفرضوا الاحتفال بأعيادهم ومناسباتهم، وكان ذلك سببًا في وقوع الكثير من الفتن والحروب الأهلية بين السنة والشيعة، والتي كانوا يعملون على تأجيجها، كما حاولوا تحويل الخلافة إلى الفاطميين، لكنهم تراجعوا عن هذا الأمر، وانتشرت الدعوة الفاطمية في عهدهم في بلاد العراق، وتحالفوا مع

المعتزلة وشجعوا كل الفرق المخالفة لمذهب الخلافة العباسية السنية بهدف القضاء عليها.

كل ذلك والخلفاء العباسيين قبل القادر بالله لا حول لهم ولا قوة لا يستطيعون أن يحركوا ساكنًا أو حتى يعترضوا ولو بالكلام على تلك السياسة التي سلكها الأمراء البويهيون.

وعندما تولى القادر بالله الخلافة سلك سياسة دينية مع المخالفين لعقيدة الخلافة العباسية السنية سواء أكانوا من البويهيين أم الفاطميين أم المعتزلة، وكان يهدف من ذلك إلى نصرة أهل السنة وإعادة هيبة الخلافة العباسية التي ضاعت علي أيدي أسلافه، وقد نجح القادر بالله في سياسته فزاد وقار الدولة العباسية ونمى رونقها وأخذت تزداد قوة.

ولما كان هذا الموضوع من الأهمية بمكان، فقد أحببت أن يكون موضوع بحثي، وأن أتتبع سياسة القادر بالله الدينية مع المخالفين لمذهب الخلافة العباسية وذلك من خلال العناصر الآتية:

- نبذة عن الخليفة القادر بالله.

- **إسمه ونسبه.**
- **توليه الخلافة.**

- سياسة القادر بالله الدينية.

- **شخصيته الدينية.**
- **ضعف نفوذ البويهيين**

- تعاظم نفوذ الغزنويين.
- أولًا: سياسته مع البويهيين العراق.
- ثانيًا: سياسته مع المعتزلة.
- ثالثًا: سياسته مع الفاطميين في مصر.
- رابعًا: المواجهة الفكرية.

- نتائج البحث

وختامًا، فإني أسأل الله التوفيق والقبول

وأن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم.

نبذة عن الخليفة القادر بالله.

اسمه ونسبه.

هو أَحْمَد بْن إِسْحَاق بْن جَعْفَر المقتدر باللَّه بْن أَحْمَدَ المعتضد باللَّه بن أَبِي أحمد الواثق بالله بْن جَعْفَر المتوكل عَلَى اللَّه بْن مُحَمَّد المعتصم بالله بْن هارون الرشيد بْن مُحَمَّد المهدي بن عبد الله المنصور بْن مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيّ بْن عَبْدِ اللَّه بن الْعَبَّاس بْن عَبْد المطلب، يكنى أَبَا الْعَبَّاس ولد القادر عام (٣٣٦هـ/٩٤٧م) [١].

توليه الخلافة.

ولي القادر بالله الخلافة، يوم السبت الحادي عشر من شهر رمضان عام(٣٨١هـ/٩٩١م) بعد خلع الخليفة الطائع لأمر الله[٢]، وطالت أيامه، وكان

---

(١) الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي(ت ٤٦٣هـ): تاريخ بغداد: تحقيق/ بشار عواد – دار الغرب الإسلامي – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م ج٥ ص٦١، الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت٧٤٨هـ): سير أعلام النبلاء: تحقيق/ مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط: مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان – الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ج١٥ ص١٢٧، الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت٧٦٤هـ): الوافي بالوفيات: تحقيق/ أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى – دار إحياء التراث – بيروت ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م ج٦ ص١٥٠، ابن شاكر الكتبي، محمد بن أحمد (ت٧٦٤هـ): فوات الوفيات: تحقيق/ إحسان عباس. دار صادر – بيروت – الطبعة الأولى ١٩٧٣م ج١ ص٥٨.

(٢) أمير المؤمنين عبد الكريم الطائع لله بن المطيع بن المقتدر ابن المعتضد بن الْمُوفق طَلْحَة بن المتَوَكل بن الواثق بن المعتصم بن الرشيد بن الْمهْدي بن الْمَنْصُور العباسي؛ تولى الخلافة عام(٣٦٣هـ) خلعه بهاء الدولة البويهي عام(٣٨١هـ) بإشارة الأمراء=

حازمًا مطاعًا، حليمًا كريمًا، هابه من كانت لهم السيطرة على الدولة من الترك والديلم، فأطاعوه، وأحبه الناس فصفا له الملك، وجدد أمر الخلافة، وعظم ناموسها – كما يقول ابن الأثير– ونعته ابن دحية بالإمام الزاهد العابد، وقال: في أيامه ظهرت العرب، وقام الإسلام، وملكت الجزيرة والشام، وفتحت السند والهند(١).

توفى القادر بالله فِي ليلة الإثنين الحادي عشر من ذي الحجة عام (٤٢٢هـ /١٠٣١م) وكانت مدة خلافته إحدى وأربعين سنة وثلاثة أشهر(٢).

– سياسة الخليفة القادر بالله الدينية.

كانت سياسة القادر الدينية تقوم على إعلاء مذهب أهل السنة والجماعة في الوقت الذي طغى فيه النفوذ الشيعي والذي مازال جاثمًا على عاصمة

=ومعونتهم وسملوا عينيه وولوا مكانه القادر بالله ولما جلس القادر في الخلافة أسكنه معه في زاوية من قصره رقة له، وكان يحسن إليه ويحتمل غلظة كلامه، ويقضي معظم ما يستقضيه من الحوائج، وظل على هذا الحال إلى أن توفي عام(٣٩٣هـ)، وصلى عليه القادر بالله، وكانت مدة خلافته سبع عشرة سنة، وتسعة أشهر، وخمسة أيام (الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد: ج١٢ ص٣٥٩، الصفدي: الوافي بالوفيات: ج١٩ ص٥٩، الكتبي: فوات الوفيات: ج٢ ص٣٧٥).

(١) ابن الأثير، عز الدين علي بن أبي الكرم محمد بن محمد (ت٦٣٠هـ): الكامل في التاريخ: تحقيق/ عمر عبد السلام تدمري: دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان ــ الطبعة الأولى١٤١٧هـ/١٩٩٧م ج٧ ص٤٤٤، ابن دحية، أبو الخطّاب عُمر ابن دِحية الكَلْبِيُّ(ت٦٣٣هـ): النبراس في تاريخ بني العباس: تحقيق/ المحامي عباس العزاوي: مطبعة المعارف – بغداد ط١ – ١٣٢٥هـ/١٩٤٦م ص١٢٧–١٢٩.

(٢) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد: ج٥ ص٦١، ابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات: ج١ ص٥٨.

الخلافة العباسية، بينما دعاة الفاطميين يجوبون أرض الخلافة العباسية جيئة وذهابًا محققين الكثير من النجاح بعد إقامة دولة لهم في مصر عام(٣٥٨هـ/٩٦٩م)، وقد أراد الخليفة القادر بالله أن يسترد شيئًا من هيبة الخلافة العباسية في مواجهة طغيان بني بويه الشيعيين، وأن يستعيد للمذهب السني قدرًا من القوة في مواجهة المذاهب المتصارعة المتناحرة وخاصة الشيعة والمعتزلة، ولكي يقوم الخليفة بتطبيق هذه السياسة كان لزامًا عليه أن يدخل حربًا شرسة مع بعض القوى الداخلية والخارجية الموجودة في ذلك الوقت والتي كانت تتمثل في الآتي.

- البويهيون الشيعة في بغداد.
- المعتزلة.
- الفاطميون في مصر.

وقد تولى الخليفة القادر الخلافة عام(٣٨١هـ/٩٩١م) أي بعد نصف قرن تقريبًا من سيطرة البويهيين الشيعة على الخلافة العباسية، وكان البويهيون يحملون روح العداء للخلفاء العباسيين المخالفين لهم في المذهب، ومن ثم أسرفوا في الاستهانة بهم وخلعهم، بل وقتل بعضهم مما أضعف سلطة الخلافة وقضى على هيبتها، ولم يكتفوا بذلك بل حاولوا جاهدين نشر المذهب الشيعي في بغداد، فجوبهوا برد فعل عنيف تمثل في كثرة الفتن بين السنة والشيعة فعم القلق والاضطراب، وتكررت الثورات، وانتشرت أعمال السلب والنهب حتى

عم الرعب والفزع، وسلب الناس أمنهم وسلامتهم[١]، وقد ألقى هذا الاضطراب السياسي والاجتماعي بظلاله على الحركات الفكرية المعاصرة له فانعكس وجوده عليها، واشتد الصراع بين الفرق والمذاهب الإسلامية، وكان أخطر ما في هذا الصراع أن السلطة السياسية توزعت بين طرفين متناقضين: بويهيين شيعة لهم ميول اعتزالية، وخلافة عباسية تدين بالولاء لمذهب أهل السنة والجماعة[٢].

يقول أحد الباحثين: إن السؤال الذي يطرح نفسه، وهو أن التناقض بين السلطتين كان موجودًا منذ دخول معز الدولة البويهي[٣] بغداد عام (٣٣٤هـ/٩٤٥م) فلماذا سكت عنه أسلاف القادر[٤]؟ وأضيف عليه هل كان القادر لديه من القوة دون غيره من أسلافه ما يجعله يمضي قدمًا في تطبيق هذه السياسة، وهو الذي رأى بعينيه كيف وصل إلى الحكم بعد أن قام

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ: ج٧ ص٤٦٠، ٤٦٦، ٤٩٠.

(٢) عبد المجيد بدوي: التاريخ السياسي والفكري للمذهب السني في المشرق الإسلامي من القرن الخامس الهجري حتى سقوط بغداد: دار الوفاء – المنصورة – مصر – الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ص٦٢.

(٣) أبو الحسين أحمد بن أبي شجاع بويه بن فناخسرو ينتهي نسبه إلى ملوك بني ساسان، كان يلقب بمعز الدولة حكم العراق والأهواز، كان أول حكام البويهيين في العراق دخلها عام(٣٣٤هـ) في خلافة المستكفي(٣٣٣-٣٣٤هـ/٩٤٤-٩٤٦م)، وملكها بلا مشقة وكانت مدة ملكه العراق إحدى وعشرين سنة وأحد عشر شهرًا، وتوفى عام(٣٥٦هـ) ببغداد (ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت٦٨١هـ): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان تحقيق: إحسان عباس – دار صادر – بيروت ١٩٠٠م ج١ ص١٧٥، ١٧٦).

(٤) عبد المجيد بدوي: التاريخ السياسي والفكري: ص٦٢.

البويهيون بخلع سلفه الخليفة الطائع. أم أن هناك عوامل أخرى شجعته على ذلك؟.

يقول الباحث: وللإجابة على الشق الأول من السؤال يمكن القول بأن أسلاف القادر كانوا مغلوبين على أمرهم، بل كانوا ألعوبة في أيدي البويهيين، وكانوا يقابلون ذلك بالخضوع والاستسلام، بل إن منهم من كان يعترف بعجزه ويصرح بعدم مسئوليته تجاه ما تمر به البلاد من أحداث[١]، ويذكر ابن الأثير ما يدل على ذلك، فقد طلب بختيار البويهي[٢] الأموال من الخليفة المطيع[٣] (٣٣٤-٣٦٣هـ/٩٤٦-٩٧٤م) للإنفاق على الغزاة ليصدوا الروم الذين

(١) عبد المجيد بدوي: التاريخ السياسي والفكري: ص٦٢.

(٢) عز الدولة بختيار بن معز الدولة البويهي ثاني حكام البويهيين في العراق، ولد سنة (٣٣١هـ)، تولى الحكم بعد وفاة أبيه معز الدولة سنة(٣٥٦هـ) وكان في الخامسة والعشرين من عمره وذلك في عهد الخليفة المطيع (٣٣٤-٣٦٣هـ/٩٤٦-٩٧٤م) ثم تزوج ابنة الخليفة الطائع(٣٦٣-٣٨١هـ/ ٩٧٤-٩٩١م) استمر حكم عز الدولة البويهي حتى مقتله عام(٣٦٧هـ) على يد ابن عمه عضد الدولة(ابن خلكان: وفيات الأعيان: ج١ ص٢٦٧).

(٣) المطيع لله بْن جعفر المقتدر بالله بْن أَحْمَد المعتضد بالله بْن أبي أَحْمَد الموفق، ويكنى أبا القاسم استخلف بعد المستكفي بالله، يوم الخميس ٢٢ من جمادى الآخرة، عام(٣٣٤هـ)، وخلع المطيع نفسه غير مستكره يوم الأربعاء ١٣ من ذي القعدة عام(٣٦٣هـ) فكانت خلافته تسعًا وعشرين سنة، وأربعة أشهر، وأياما، وولى بعده ابنه الأكبر عبد الكريم الطائع لله وتوفى المطيع عام(٣٦٤هـ) ودفن في الرصافة ببغداد (الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد: ج١٤ ص٣٥٦).

أغاروا على الجزيرة الفراتية[١]، فقال المطيع:" إن الغـزاة والنفقـة عليهـا، وغيرها من مصالح المسلمين تلزمني إذا كانت الدنيا في يدي وتجبـى إلـي الأموال، وأما إذا كانت حالي هذه فلا يلزمني شيء من ذلك، وإنما يلزم مَـن البلاد في يده وليس لي إلا الخطبة، فإن شئتم أن أعتزل فعلت"[٢].

فهذا الموقف يدل على مدى ضعف الخلفاء قبل القادر بالله لدرجـة أنـه يطلب منه اعتزال الحكم لو أراد بختيار البويهي ذلك.

وللإجابة على الشق الثاني فيمكن القول بأن الخليفة القادر بالله لم يكن لديه من القوة والسطوة ما يمكنه من ذلك، بل كانت هناك بعض العوامل الداخليـة والخارجية التي شجعته على أن ينتهج هذه السياسة منها ما يتعلق بشخصـية القادر نفسه وظروف تكوين شخصيته الدينية والفكرية، ومنهـا مـا يتعلـق بظروف بني بويه السياسية، إضافة إلى أسباب خارجية أحاطـت بـالأطراف المتصارعة تمثلت في تعاظم نفوذ الغزنويين[٣] السنيين في الشرق، وازديـاد

(١) المنطقة الواقعة بين دجلة والفرات، ويطلق عليها الجزيرة الفراتيَّة، أو جزيرة أَقُـور، ومن أشهر مدنها: الرُّها، حرَّان، جعبر، ماردين، نصيبين، آمد، الرقَّة. (ياقوت الحمـوي، شهاب الدين أبو عبد الله(٦٢٦هـ) معجم البلدان: دار صادر – بيروت – الطبعة الثانيـة ١٩٩٥م ج٢ ص١٣٤).

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ: ج٧ ص٣٠٣.

(٣) الدولة الغزنوية (٣٥١-٥٨٢ هـ/٩٦٢- ١١٨٦م) أخذت الدولة الغزنوية اسمها مـن مدينة غزنة (وهي مدينة عظيمة بين خراسان والهند وقصبة زابلستان) وكانـت عاصـمة لدولتهم، والغزنويون هم سلالة تركية الأصل، فقد كان ألبتكين من موالى الأتراك، وكانـت له منزلة عظيمة عند السامانيين. فعينوه عاملًا على مدينة هراة وغزنـة، فبـدأت أمجـاد الغزنويين من هنا، لكن ألبتكين أول حكام الدولة الغزنوية ومؤسسها لم يتمكن من ترسيخ= =دعائم دولته الجديدة، فقد وافاه أجله فى سنة (٣٥٢هـ)، بعد عام واحد تقريبًا من توليـه

نفوذ الفاطميين في مصر[1]. تلك هي أهم العوامل التي ساهمت في تكوين شخصية القادر بالله الدينية.

ولنبدأ بإلقاء الضوء على شخصية القادر بالله.

شخصية الخليفة القادر بالله الدينية.

يذكر معظم المؤرخين أن الخليفة القادر بالله كان من خِيَار خلفاء بني الْعَبَّاس وعلمائهم، فقد تعلم منذ صغره على يد أحد الْفُقَهَاء الْأَعْيَان الشافعيين المعروفين وهو أبي بشر أَحمد بن محمد الْهَرَوِيّ[2] الْمَعْرُوف بالْعَالم، فنشأ

الحكم، ثم خلفه ابنه إسحاق، ثم غلامه بلكانين – من بعده – ولكنهما لم يتمكنا من تحقيق ذلك، فلما ولى سبكتكين في الفترة(٣٦٦ –٣٨٧هـ/ ٩٧٦– ٩٩٧م)، تمكن من ترسيخ دعائم دولته ويعتبر المؤسس الحقيقي للدولة الغزنوية فقد مد نفوذه إلى الشرق، وجعل عاصمته غزنة. واستولى على خراسان لكن سبكتكين اتجه بأعماله نحو الهند، فتمكن وعظم أمره، وأخذ يُغير على أطراف الهند، وافتتح قلاعا، وكانت له ملاحم مع الهنود، وبعد وفاته عام ٣٨٧هـ عهد بالإمرة إلى ابنه إسماعيل، إلا أن ابنه الآخر محمود استطاع أن ينتزع الإمارة من أخيه إسماعيل وأحسن معاملة أخيه وأعلى منزلته وقد استمرت هذه الدولة حتى عام(٥٨٢هـ/١١٨٦م) (ابن الأثير: الكامل في التاريخ: ج٧ ص٣٥٣-٣٥٦، محمود مقديش: نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار: تحقيق/ علي الزواري، محمد محفوظ – دار الغرب الاسلامي – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٩٨٨م ج١ ص٣٠٠)

(١) عبد المجيد بدوي: التاريخ السياسي والفكري: ص٦٣ وما بعدها.

(٢) أبو بشر الهروي، أحمد بن محمد يعرف بالعالم سكن بغداد وحدث بها كان معلمًا للقادر بالله قبل الخلافة ودرس عليه مذهب الشافعي ولد بهراة عام(٣٢٨هـ) تقلد الحسبة بجانبي مدينة السلام وتقلد قضاء بلاد أذربيجان وتوفى عام(٣٨٥م)(الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد: ج٦ ص٢٦١، السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن علي (ت٧٧١هـ): طبقات الشافعية الكبرى: تحقيق/ كمال يوسف الحوت – دار الكتب العلمية–بيروت ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م ج٢ ص٤١).

القادر نشأة دينية على مذهب أهل السنة والجماعة، وكان متديناً كثير التهجد كثير البر والصدقات، له كتاب في الأصول ذكر فيه فضائل الصحابة على ترتيب مذهب أصحاب الحديث، وأورد فيه فضائل الخليفة عمر بن عبد العزيز، وكَانَ الكتاب يقرأ كل جمعة فِي حلقه أصحاب الحديث بجامع المهدي ويحضر الناس سماعه(١).

قال عنه ابن كثير:" كان حليمًا كريمًا، محبًا لأهل العلم والدين والصلاح، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وكان على طريقة السلف في الاعتقاد، وله في ذلك مصنفات كانت تقرأ على الناس، وكان يقوم الليل كثير الصدقة، محبًا للسنة وأهلها، مبغضًا للبدعة وأهلها، وكان يكثر الصوم ويبر الفقراء من أقطاعه، يبعث منه إلى المجاورين بالحرمين وجامع المنصور، وجامع الرصافة، وكان يخرج من داره في زي العامة فيزور قبور الصالحين"(٢).

كما أنه كان زاهدًا في الدنيا يكتفي في طعامه بالقليل، ومن ذلك ما يرويه ابن الجوزي وابن الأثير:" أن القادر أرسل ذات يوم إلى الطائع عدسًا مطبوخًا، فقال: ما هذا؟ فقالوا: عدس وسلق، فقال: أو قد أكل أبو العباس من

(١) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد: ج٥ ص٦١، ابن الصلاح، تقي الدين عثمان بن عبد الرحمن (ت٦٤٣هـ): طبقات الفقهاء الشافعية: تحقيق/ محيي الدين علي نجيب: دار البشائر الإسلامية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٩٩٢م ج١ ص٣٢٥.

(٢) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت٧٧٤هـ): البداية والنهاية: تحقيق/ علي شيري: دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ج١٢ ص٤٠.

هذا؟ قالوا: نعم قال: قولوا له عني: لما أردت أن تأكل عدسية لم اختفيت، فما كانت العدسية تعوزك، ولم تقلدت هذا الأمر؟ [١].

إن مقالة الطائع توضح الفرق بينه وبين القادر بالله: فالطائع يرى أن الخلافة مغنمًا، ووسيلة إلى الرفاهية، بينما يراها القادر الزاهد واجبًا ومسئولية[٢]، وكان يقسم الطعام الذي يعد له ثلاثة أقسام، يترك قسما بين يديه، ويأمر بتوزيع القسمين الآخرين على الفقراء في جامعين كبيرين في بغداد، وكان يتخفى ويخرج ليتعرف أحوال رعيته[٣].

وصفه صاحب كتاب تجارب الأمم بقوله:" قدر من صلاحها على ما لم يقدر عليه سواه وسلك من طريق الزهد والورع ما تقدّمت فيه خطاه، فكان راهب بنى العباس حقّا وزاهدهم صدقًا. ساس الدنيا والدين وأغاث الإسلام والمسلمين واستأنف فى سياسة الأمر طرائق قويمة ومسالك مأمونة سليمة هي إلى الآن مستمرة والقاعدة عليها مستقرّة لم تعرف منه زلّة ولا ذمّت له خلّة،

---

(١) جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ): المنتظم في تاريخ الأمم والملوك: تحقيق/ محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٤١٢هـ/١٩٩٢م ج١٤ ص٣٦٢، الكامل في التاريخ: ج٧ ص٤٥٤.

(٢) عبد المجيد بدوي: التاريخ السياسي والفكري: ص٦٤.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ: ج٧ ص٧٤٥، سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزأوغلي (ت٦٥٤هـ): مرآة الزمان في تواريخ الأعيان: حقق هذا الجزء / محمد أنس الخن، كامل محمد الخراط دار الرسالة العالمية – دمشق – سوريا الطبعة: الأولى ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م ج١٨ ص٣٧٩، ابن كثير: البداية والنهاية: ج١٢ ص٤٠.

فطالت أيّامه وطابت أخباره وأقفيت آثاره وبقيت على ذرّيّته الشريفة أنـــواره رضى الله عنه رضاه عن الأئمة المتقين، وجعلها كلمة باقية فى عقبه إلى يوم الدين"(١).

كما كان من أهل الستر لا يحب التجسس على الناس والوشاية بهم، فعندما تولى الخلافة ألغى هذا الوظيفة والتي كان يقوم بها البعض، ومما يدل علـــى ذلك ما جاء في بعض الروايات:" أن القادر بالله بينما يمشي ذات ليلـــة فـــي أسواق بغداد، إذ سمع شخصًا يقول لآخر: قد طالت دولة هذا المشؤم، ولـــيس لأحد عنده نصيب، فأمر خادمًا كان معه بالتوكل عليه، وأن يحضره بين يديه، فما شك أنه يبطش به، فسأله عن صنعته فقال: إني كنت من الســـعاة الـــذين يستعين بهم أرباب هذا الأمر على معرفة أحوال الناس، فمنـــذ ولـــي أميـــر المؤمنين أقصانا، وأظهر الاستغناء عنا، فتعطلت معيشتنا وانكسر جاهنا، فقال له: أتعرف من في بغداد من السعاة مثلك؟ قال: نعم، فأحضر كاتبًـــا، وكتـــب أسماءهم، وأمر بإحضارهم، ثم أجرى لكل واحد منهم معلومًا، ونفـــاهم إلـــى الثغور القاصية، ورتبهم هناك عيونًا على أعداء الدين، ثم التفت إلى من حوله وقال: اعلموا أن هؤلاء ركب الله فيهم شرًا وملأ صدورهم حقدًا على العـــالم، ولا بد لهم من إفراغ ذلك الشر، فالأولى أن يكون ذلك في أعداء الـــدين، ولا ننغص بهم المسلمين"(٢).

---

(١) مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب(ت٤٢١هـــ): تجارب الأمم وتعاقب الهمم: تحقيق/ أبو القاسم إمامي – سروش – طهران – الطبعة: الثانية ٢٠٠٠م ج٧ ص٢٤٧.

(٢) الكتبي: فوات الوفيات: ج١ ص٥٩.

من خلال ما سبق يمكن القول:

بأننا أمام شخصية زاهدة عابدة لها اتجاهها الفكري الواضح التي لم تكتف بمجرد الانتساب إليه بل شاركت في تنميته والدفاع عنه، فهو مؤلف في أصول العقيدة، ثم داعية إلى مذهبه، محبًا لأهل السنة، بهذا كله كان القادر بالله شخصية فريدة ونادرة من خلفاء بني العباس الذين عاصروا البويهيين، فلا غرابة في أن يكون أقواهم، وأن يكون أول خليفة يعلن التمرد على البويهيين، ويحاول التخلص من سطوتهم وسيطرتهم، ويذكر لنا بعض المؤرخين هذه الحقيقة، فيقول مسكويه:"إنّ القادر بالله جدّد معاهد الخلافة وأنار أعلامها، وكشف غمم الفتنة وجلّى ظلامها"(١).

ويقول ابن الأثير: "وكانت الخلافة قبله قد طمع فيها الديلم والأتراك، فلما وليها القادر بالله أعاد جِدّتها(٢)، وجدد ناموسها، وألقى الله هيبته في قلوب الخلق فأطاعوه أحسن طاعة وأتمها"(٣).

---

(١) تجارب الأمم وتعاقب الهمم: ج٧ ص٢٤٦.

(٢) الجِدَّة هي الطريقة أو العلامة أو الخطة (الهروي، أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري (ت٣٧٠هـ): تهذيب اللغة: تحقيق/ محمد عوض مرعب – دار إحياء التراث العربي – بيروت – الطبعة: الأولى ٢٠٠١م ج١٠ ص٢٤٧، الزَّبيدي،محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني (ت ١٢٠٥هـ): تاج العروس من جواهر القاموس: دار الفكر – بيروت الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ج٤ ص٣٧٩.

(٣) الكامل في التاريخ: ج٧ ص٧٤٥.

ويقول ابن طباطبا:" وفي أيامه تراجع وقار الدولة العبّاسيّة ونمى رونقها، وأخذت أمورها في القوّة"[١].

هذه هي شخصية القادر بالله الدينية والتي شجعته على المضي قدمًا في تنفيذ سياسته تجاه المخالفين لمذهب الخلافة العباسية.

أما ما يتعلق بظروف بني بويه السياسية فيتمثل في:

ضعف نفوذ البويهيين.

كان نفوذ البويهيين قبل الخليفة القادر قويًا، وكانت لهم السطوة والسيطرة على كل الأمور في بغداد، ومما يؤكد ذلك قيام الأمير البويهي بهاء الدولة (٣٧٩-٤٠٣هـ/٩٨٩-١٠١٢م) بخلع الخليفة العباسي الطائع (٣٦٣-٣٨١هـ/٩٧٤ -٩٩١م) من الخلافة ومبايعة القادر مكانه[٢].

وكانت سياسة أمراء بني بويه مع الخليفة القادر تقوم على التظاهر بأنهم يستمدون نفوذهم منه، في حين أنهم كانوا يسعون لتوطيد سلطتهم والاستئثار بها دونه خاصة في عهد بهاء الدولة الذي استأثر بالنفوذ لدرجة أغضبت الخليفة القادر بالله منه، إلا أن الصفاء والود ساد بين الطرفين مؤقتًا، وليس

(١) ابن طباطبا، محمد بن علي (ت٧٠٩هـ): الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية: تحقيق/ عبد القادر محمد مايو – دار القلم العربي – بيروت – الطبعة الأولى ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م ص٢٨٠.

(٢) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد: ج١٢ ص٣٥٩، الصفدي: الوافي بالوفيات: ج١٩ ص٥٩، الكتبي: فوات الوفيات: ج٢ ص٣٧٥.

أدل على ذلك زواج الخليفة القادر بالله من سكينة ابنة بهاء الدولة عام (٣٨٣هـ/٩٩٣م)[١].

غير أن بهاء الدولة قد تمادى في غيه، وأخذ يتدخل في أمور الخلافة، بل في أعمال الخليفة نفسه، فكان يعمد إلى عزل من شاء من الوزراء وتعيين من شاء، وغير ذلك من الأمور التي تتعلق بواجبات الخليفة، أما الخليفة القادر بالله فقد احتفظ بحقه في تفويض أمراء الأقاليم حكم البلاد، وكان لهذا التفويض أهمية كبيرة لجعل الأمر مقبولًا لدى المسلمين من الناحية الشرعية، وعلى الرغم من هذه الحقوق التي حصل عليها الخليفة القادر بالله من الأمراء البويهيين، إلا أنهم شاركوه في بعض شارات الخلافة كضرب الطبول لهم في أوقات الصلوات الخمس، وإلى جانب ذلك شاركوه في نقش أسمائهم على السكة، ولم يكتف الأمير البويهي بذكر اسمه بل أضاف لقبه وكنيته[٢].

ولم يبق للخليفة من شارات الخلافة سوى نفوذه الديني الذي تمسك به واعتبره السلاح القوي الذي يقاوم به استئثار البويهيين بالسلطة[٣].

ويبدو لي: أن الخليفة القادر كان يدرك قوة البويهيين في بداية خلافته، وخاصة بهاء الدولة والذي قام بخلع سلفه الطائع، ولذلك أعتقد أنه كان يجاريه في بعض الأمور ويسكت عن أفعاله واستئثاره بالسلطة حتى تتسنى له

(١) ابن الجوزي: المنتظم: ج١٤ ص٣٦٦، ابن الأثير: الكامل: ج٧ ص٤٦١.

(٢) ابن الجوزي: المصدر السابق: ج١٤ ص٣٣٩، ٣٥٠.

(٣) نيفين رجب: الخليفة القادر بالله العباسي وسياسته الداخلية والخارجية: نوابغ الفكر – القاهرة – الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م ص٢٦.

الفرصة، خاصة أنه لم يبقى له إلا السلطة الدينية على حد قول الزبيـــدي:" أن الدولة والملك قد انتقل من آل العباس إلى آل بويه، والذي بقي في أيدي الدولة العباسية إنما هو أمر ديني اعتقادي لا ملك دنيوي"(١).

وعلى هذا الأساس احتفظ الخليفة بسلطته على القضاء وظل تعيين القضاة وأمراء الحج والمظالم وغيرها من حق الخليفة، وفي عام(٤٠٣هـــ/١٠١٢م) توفى الأمير البويهي بهاء الدولة وملك ابنه سلطان الدولـــة (٤٠٣-٤١١هـــ /١٠١٢-١٠٢٠م) فكان عهده بداية الصراع بين الأمراء البويهيين(٢).

ولم يكن الخليفة القادر بالله يتدخل في الصراع بين أفراد البيت البـــويهي، وكأني به ولسان حاله يدعو ويقول "اللهم أهلك الظالمين بالظالمين".

وقد أدى هذا الصراع بين أمراء البويهيين إلى إضعاف نفـــوذهم وأتـــاح للخليفة العباسي القادر بالله فرصة استعادة هيبة الخلافة ونستدل على ذلك من ظهور قوة الخليفة القادر وتراجع النفوذ البويهي أمامه أن البويهيين لـــم يعـــد باستطاعتهم خلع الخليفة القادر من الخلافة كغيره من بني العباس الذين سبقوه في العهد البويهي، وإنما توفى متأثرًا بمرضه عام(٤٢٢هـــ/١٠٣١م)(٣).

وأمام هذا الضعف الذي أصاب البويهيين وجد الخليفة القادر أن الظروف مناسبة لتطبيق سياسته الدينية وهي إعلاء مذهب أهل السنة ومحاربة المذاهب

---

(١) محمد حسين الزبيدي: العراق في العصر البويهي: دار النهضة العربية – القـــاهرة – ١٩٦٩م ص٤٠.

(٢) ابن الأثير: الكامل: ج٧ ص٥٨٩.

(٣) ابن الجوزي: المنتظم: ج١٥ ص٢١٥، نيفين رجب: الخليفة القادر: ص٤١.

الأخرى المخالفة، وقد شجعه أيضًا على ذلك توافر عامل آخر من العوامل التي ساعدته على تطبيق سياسته، ألا وهو تعاظم قوة الغزنويين.

تعاظم نفوذ الغزنويين.

في عهد الخليفة القادر بالله(٣٨١-٤٢٢هـ/٩٩١-١٠٣١م) سطعت شمس دولة سنية قوية في بلاد المشرق، ألا وهي الدولة الغزنوية[١] وكان ظهور هذه الدولة وإعلانها التمسك بمذهب أهل السنة والجماعة ودعائها للخليفة العباسي حافزًا ومشجعًا للخليفة القادر بالله في المضي قدمًا في سياسته تجاه المخالفين لمذهب الخلافة العباسية السنية، ويعد السلطان محمود الغزنوي (٣٨٨-٤٢١هـ/٩٩٨-١٠٣٠م) أعظم سلاطين الدولة الغزنوية، فهو الذي قضى على الدولة السامانية، واستولى على خراسان عام(٣٨٩هـ/٩٩٩م)، وأصبح بذلك أكبر قوة في شرق العالم الإسلامي، ثم زحف إلى الهند، وأخضع عدة مدن أدخل فيها الإسلام ودمر الأصنام، وهو أول حاكم مسلم يحكم معظم بلاد الهند، ثم سيطر على معظم بلاد ما وراء النهر وأصفهان ومعظم إيران، فأصبحت له مملكة شاسعة، وعرف السلطان محمود بالعدالة، واشتهر بحب وتقدير العلم والعلماء[٢].

(١) سبقت الإشارة إليها.

(٢) إيناس البهجي: تاريخ الدولة العباسية: مركز الكتاب الأكاديمي – عمان – الأردن – ٢٠١٧م ص٨٢.

وقد تزامن اعتلاء القادر بالله الخلافة العباسية مع تولي السلطان محمود الغزنوي عرش الدولة الإسلامية في الشرق لتتلاقى طموحات الزعيمين في نصرة الإسلام السني ومحاربة الشيعة وبقية الفرق الأخرى(١).

كما كان السلطان محمود الغزنوي يطمح إلى انتزاع لقب سياسي من قبل الخليفة العباسي لكي يظهر عظمة دولته الناشئة، وأنه حريص على حماية ونشر الاسلام في الشرق، ومن أجل ذلك قام بتوثيق علاقته مع الخليفة العباسي القادر بالله الذي منحه ألقابًا ذات طابع ديني خالص تدل على أهمية السلطان وقدرته على حماية العقيدة الاسلامية الصحيحة، فنعت بأمين الملة ويمين الدولة(٢)، وأمام تعاظم نفوذ هذه الدولة وجد الخليفة العباسي القادر بالله في السلطان محمود الغزنوي مُتّكَأً يتَّكئُ عليه في صراعه مع البويهيين والمعتزلة والفاطميين، وهذا ما سنوضحه في الصفحات القادمة إن شاء الله.

(١) أحمد الجوارنه: جهود السلطان محمود الغزنوي في نشر الإسلام السني في اواسط آسيا، إيران، أفغانستان، والهند (٣٨٧-٤٢٢هـ/٩٩٨-١٠٣٠م): مجلة مؤتة للبحوث والدراسات – العلوم الانسانية والاجتماعية – الأردن – مجلد١١ العدد ٢ لعام ١٩٩٦م ص١٣١.

(٢) العتبي، أبو نصر محمد بن عبد الجبار (ت٤٢٧ هـ): اليميني:تحقيق/ إحسان ذنون عبد اللطيف الثامري – دار الطليعة – بيروت – الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م ص٣٧٤، الجورانة: جهود السلطان محمود الغزنوي في نشر الإسلام السني: ص١٢٨.

وخلاصة القول:

كانت شخصية القادر الدينية والفكرية، وضعف نفوذ البويهيين، وتعاظم نفوذ الغزنويين من العوامل التي جعلته يسلك هذا المسلك في سياسته الدينية تجاه المذاهب المخالفة لأهل السنة والجماعة.

أولًا: سياسته مع البويهيين العراق.

كان البويهيون المسيطرون على الخلافة العباسية السنية شيعة يقربون إليهم أتباع هذا المذهب، ويستعينوا بهم على تحقيق سياستهم في العراق بل عرفوا بشدة تعصبهم للمذهب الشيعي مما أدى إلى قيام صراع شديد في عهد الخليفة القادر بالله بين السنة والشيعة، وقد ظهر هذا الصراع في شكل فتن وثورات سالت فيها الدماء وزهقت بسببها الأرواح[1] نذكر منها:

– الفتنة التي وقعت في ١٨ ذي الحجة من عام(٣٨٩هـ/٩٩٨م) حيث عمدت الشيعة إلى نصب القباب والزينة وإظهار السرور في يوم الغدير[2]

---

(١) نيفين رجب: الخليفة القادر: ص٣٢.

(٢) الغدير أو غدير خم هو مكان يقع بين مكة والمدينة عند الجحفة(ياقوت الحموي: معجم البلدان:ج٢ ص٣٨٩) ويعتقد الشيعة أن النبي صلى الله عليه وسلم أثناء عودته من حجة الوداع عام(١٠هـ) نزل عليه في هذا المكان يوم الخميس الثامن عشر من ذي الحجة، قول الله سبحانه وتعالى: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ} وأمره أن ينصب عليًا إمامًا يبلغهم ما نزل فيه من الولاية وفرض الطاعة على كل أحد وقف عليهم خطيباً إلى أن قال: " أيها الناس من أولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: الله ورسوله اعلم. قال: إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه فعلى مولاه، يقولها ثلاث مرات. ثم قال: اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وأحب من أحبه وأبغض من أبغضه، وانصر من نصره،=

الذي اتخذوه عيدًا لهم، فعمد جماعة من أهل السنة إلى الاحتفال بيوم يقابل يوم الغدير – وهو السادس والعشرون من ذي الحجة – وقالوا بأن النبي ﷺ وأبا بكر دخلا غار ثور في هذا اليوم فعملت فيه مثل ما عملت الشيعة في يوم الغدير، كما جعلت بإزاء يوم عاشوراء يومًا بعده بثمانية أيام نسبته إلى مقتل مصعب بن الزبير، وزارت قبره كما يزار قبر الحسين رضي الله عنه[1].

كانت بداية الصدام بين الخليفة القادر بالله وبهاء الدولة البويهي عام (٣٩٤هـ/١٠٠٣م) عندما قام الأخير بتولية أحد الشيعة بشيراز قضاء القضاة والحج والمظالم، فلما وصل الكتاب إلى بغداد لم يأذن الخليفة القادر بالله وامتنع عن تقليده[2].

=واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار، ألا فليبلغ الشاهد الغائب، ثم لم يتفرقوا حتى نزل أمين وحي الله بقوله: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْأِسْلامَ دِيناً} فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة، ورضي الرب برسالتي وولاية علي من بعدي. فيزعمون أن ذلك دليل على الاحتفال بهذا العيد(الأميني، عبد الحسين أحمد: الغدير في الكتاب والسنة والأدب: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت – لبنان – ط١ –١٤١٤هـ/١٩٩٤م ج١ ص٢٧–٣٠)، بينما يرى أهل السنة أنه بيّن فضائل علي – رضي الله عنه – للذين لم يعرفوا فضله، وحث على محبته وولايته لما ظهر من ميل المنافقين عليه وبغضهم له، ولم يقصد أن يوصيَ له ولا لغيره بالخلافة(الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله (ت٤٣٠هـ): الإمامة والرد على الرافضة: تحقيق/ علي بن محمد بن ناصر الفقيهي – مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة – الطبعة: الأولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م ص٢١٤).

(١) ابن الجوزي: المنتظم: ج١٥ ص١٤، ابن الأثير: الكامل: ج٧ ص٥١٠، ٥١١.

(٢) هذا الرجل هو الحسين بن موسى الموسوي قلده بهاء الدولة هذه المناصب ولقبه بالظاهر الأوحد ذوي المناقب (ابن كثير: البداية والنهاية: ج١١ ص٣٨٢).

وفي حقيقة الأمر: أن الخليفة القادر بالله لم يكن ليصمت على هذا الأمر لأن التقليد في هذه الوظائف كان من حقه وحده من ناحية، ومن ناحية أخرى ما كان ليرضى عن تقليدها لرجل شيعي، وهو الخليفة السني الذي كان يجاهد قدر الإمكان على نصرة مذهب أهل السنة والجماعة.

وفي المقابل فقد حدث عام(٣٩٨هـ/١٠٠٧م) ما يدل دلالة واضحة على التطور الكبير الذي حدث في شخصية القادر وهو تحرره من سيطرة البويهيين، وأيضًا في سلوك بني بويه تجاه الخليفة القادر بالله، فقد ظهرت سياسته الدينية وقوته مع البويهيين خلال هذه الحادثة التي ظهرت في شكل ثورة تدعو للفاطميين بمصر [١].

وقد ذكر المصادر هذه الحادثة: وهي أنه في رجب من عام (٣٩٨هـ/١٠٠٧م) جرت فتنة بين السنة والرافضة، سببها أن بعض الهاشميين قصد أبا عبد الله محمد بن النعمان المعروف بابن المعلم وكان فقيه الشيعة، فعرض له بالسب فثار أصحابه له واستنفر أصحاب الكرخ وصاروا إلى دار القاضي أبي محمد الأكفاني والشيخ أبي حامد الأسفراييني، وجرت فتنة عظيمة طويلة، وأحضرت الشيعة مصحفًا ذكروا أنه مصحف عبد الله بن مسعود، وهو مخالف للمصاحف كلها، فجمع الأشراف والقضاة والفقهاء في يوم جمعة لليلة بقيت من رجب، وعرض المصحف عليهم فأشار الشيخ أبو حامد الأسفراييني والفقهاء بتحريقه، ففعل ذلك بمحضر منهم، فغضب الشيعة

(١) نيفين رجب: الخليفة القادر: ص٣٤.

من ذلك غضبًا شديدًا، وقصد جماعة منهم دار الشيخ أبي حامد ليؤذوه فانتقل منها إلى دار أخرى، وصاحوا يا حاكم يا منصور، وكاد الشيخ أن يقتل، ومما زاد هذه الثورة اشتعالًا تعصب الأمير البويهي بهاء الدولة للشيعة، وكان لذلك أثر سئ في نفس الخليفة القادر بالله، فلما بلغه ذلك غضب غضبًا شديدًا وبعث أعوانه لنصرة أهل السنة، فحرقوا دورًا كثيرة من دور الشيعة، وجرت خطوب شديدة، وبعث عميد الجيوش إلى بغداد لينفي عنها ابن المعلم فقيه الشيعة، فأخرج منها ثم شفع فيه، ومنع القصاص من التعرض للذكر والسؤال باسم الشيخين، وعلي – رضي الله عنهم –، وعاد الشيخ أبو حامد إلى داره(١).

من خلال هذا النص يتبين لنا:

موقف الخليفة القادر بالله من هذه الفتنة فلم يكن ليسكت على محاصرة أحد علماء السنة في منزله، بل وإجباره على مغادرته، فما كان منه إلا أن أرسل خدمه وأعوانه لنصرة أهل السنة، وكان رد فعل الأمير البويهي بهاء الدولة هو الخضوع والاستسلام للخليفة بل أرسل إلى ابن المعلم لكي يخرج من بغداد، ومنع الناس من التعرض لأبي بكر وعمر وعلي – رضى الله عنهم –.

(١) ابن الجوزي: المنتظم: ج١٥ ص٥٩، ابن كثير: البداية والنهاية: ج١١ ص٣٨٩، الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد(ت ٧٤٨هـ): تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: تحقيق/ عمر عبد السلام التدمري – دار الكتاب العربي – بيروت – الطبعة: الثانية ١٤١٣هـ/١٩٩٣م ج٢٧ ص٢٣٧.

وإذا أردنا أن نقارن بين هذا الموقف وبين ما حدث عام(٣٥١هـ/٩٦٢م) عندما أمر معز الدولة البويهي الشيعة في بغداد بأن يكتبوا على المساجد لعن معاوية بن أبي سفيان – رضى الله عنه – وفي العاشر من المحرم عام (٣٥٢هـ/٩٦٣م) عندما أمر معز الدولة أيضًا الناس أن يغلقوا دكاكينهم، ويبطلوا الأسواق والبيع والشراء، وأن يظهروا النياحة، ويلبسوا (قبابا عملوها) بالمسوح، وأن يخرج النساء منشرات الشعور، مسودات الوجوه، قد شققن ثيابهن، يدرن في البلد بالنوائح، ويلطمن وجوههن على الحسين بن علي – رضي الله عنهما –، ففعل الناس ذلك، ولم يكن للخليفة ولا لغيره من السنة قدرة على المنع"[(١)].

فلو قارنا بين هذين الموقفين لأدركنا قوة الخليفة القادر بالله دون غيره من سابقيه، ولثبت لدينا مدى حبه لأهل السنة وأنه لم يتوانى عن الدفاع عنهم حتى ولو كلفه ذلك التضحية بالخلافة وربما التضحية بحياته.

وأمام هذه السياسة الدينية التي سلكها القادر بالله لم يجد الأمراء البويهيون بدًا سوى الخضوع للخليفة فعندما كانت تحدث فتن أخرى بين السنة والشيعة كان الأمير البويهي يلقي باللوم على الشيعة ويأمرهم بالكف عن ذلك وأضرب مثالًا على ذلك:

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ: ج٧ ص٢٣٩، ٢٤٥.

ففي عام(٤٠٣هـ/١٠١٢م) خرجت جنازة زوجة أبي نصر بن اسرائيل النصراني[١] تتبعها النوائح والصلبان، فأنكر ذلك بعض الهاشميين فرجم الجنازة، فما كان من غلمان أبي نصر إلا أن ضربوه فشجوا رأسه، فثار المسلمون بهم فانهزموا حتى لجأوا إلى كنيسة لهم، فدخلها العامة ونهبوها ونهبوا أكثر دور النصارى المجاورة لها، وعاد ابن إسرائيل إلى داره فهجموا عليه فهرب منهم، وأخرج ابن إسرائيل مستخفيًا حتى أوصل إلى دار، وثارت الفتنة بين العامة وغلمان أبي نصر، وزادت ورفعت المصاحف في الأسواق، وغلقت أبواب المساجد، وقصد الناس دار الخليفة على سبيل الاستنفار، فأمر الخليفة باحضار أبي نصر بن اسرائيل فامتنع عن الحضور، وازدادت الفتنة وعزم الخليفة على الخروج من بغداد احتجاجًا على عدم تنفيذ أوامره، فاجتمع العامة وقصدوا دار أبي نصر، وقتل رجل علوي فثار الناس وظفروا بجماعة من النصارى فقتلوهم، ولم تهدأ الفتنة إلا بعد أن قُبض على أبي نصر بن اسرائيل، فقدم أموالًا كثيرة، ثم أفرج عنه[٢]، ولا شك أن تشييع جنازة النصارى بمثل هذه الهيئة كان بمثابة التحدي للمسلمين، كما أن فيه محاكاة لما

(١) أحد رؤساء النصارى ببغداد وكان كاتبًا للأمير مناصح الدّولة أبو الهيجاء بختكين بن عبد الله الجرجانيّ(ابن الفوطي، كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق (ت٧٢٣ هـ): مجمع الآداب في معجم الألقاب: تحقيق/ محمد الكاظم: وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي – إيران – الطبعة: الأولى١٤١٦هـ ج٦ ص٥٠٠، رشاد معتوق: الحياة العلمية في العراق خلال العصر البويهي: رسالة دكتوراة منشورة – جامعة أم القرى – مكة المكرمة – ١٤١٠هـ/١٩٩٠م ص١٦٣).

(٢) ابن الجوزي: المنتظم: ج١٥ ص٩٢.

يفعله الشيعة من بدع يوم عاشوراء، ولعل هذا قد يعكس مدى التعاون بين النصارى والشيعة بزعامة البويهيين[١].

وفي عام (٤٠٦هـ/١٠١٥م) وقعت فتنة ببغداد بين أهل الكرخ الشيعة وبين أهل باب الشعير السنة فاشتبك معهم أهل السنة، فأنفذ محمد بن علي بن خلف وزير الأمير البويهي سلطان الدولة (٤٠٣-٤١١هـ/١٠١٢-١٠٢٠م) الشريف المرتضى وغيره فأنكروا على أهل الكرخ ما يجري من سفائهم واستقر الأمر على كفهم وشرط عليهم ألا يعلقوا في عاشوراء مسرحًا ولا يقيموا نوحًا[٢].

لكن لم تلبث الفتنة أن عادت مرة أخرى عام (٤٠٧هـ/١٠١٦م) حيث حدثت فتنة كبيرة بين السنة والشيعة بواسط، فانتصر السنة وهرب وجوه الشيعة والعلويين إلى علي بن مزيد[٣] فاستنصروه[٤].

ومن خلال هذه الأحداث نلاحظ أنه طوال فترة خلافة القادر بالله(٣٨١-٤٢٢هـ/٩٩١-١٠٣١م) لم يهدأ الصراع بين السنة والشيعة، وكان الأمراء البويهيون الشيعة يغالون في التشيع ويشجعونه، وأن الخليفة القادر لم يسكت على ذلك كما سكت أسلافه خوفًا من البويهيين، بل كان يناصر أهل السنة قدر

---

(١) رشاد معتوق: الحياة العلمية في العراق خلال العصر البويهي: ص١٦٣.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم: ج١٥ ص١١١، ابن الأثير: الكامل: ج٧ ص٦١٠.

(٣) أبو الحسن علي بن مزيد الأسدي، أول الأمراء المزيديين وأصحاب الحلة بالعراق. كان شجاعًا، انحصرت إمارة ابن مزيد في نواحي الحلة، وتوفي عام(٤٠٨هـ)(الذهبي: سير أعلام النبلاء: ج١٥ ص١٣٣ هامش٣).

(٤) ابن الجوزي: المصدر السابق: ج١٥ ص١٢٠، ابن الأثير: المصدر السابق: ج٧ ص٦٤٠.

استطاعته ويناهض الفرق المخالفة لمذهب أهل السنة والجماعة والتي ظهرت في عهده ولننتقل إلى سياسته مع فرقة من هذه الفرق ألا وهي المعتزلة[1].

نبذة عن المعتزلة.

ظهرت فرقة المعتزلة في القرن الثاني الهجري، لكنها لم تزدهر إلا في عهد الخليفة المأمون[2] (١٩٨-٢١٨هـ/٨١٣-٨٣٣م) وقد عاشت المعتزلة

(١) المعتزلة: فرقة كلامية ظهرت في بداية القرن الثاني الهجري في البصرة (في أواخر العصر الأموي) وقد ازدهرت في العصر العباسي، مؤسسها واصل بن عطاء(ت١٣١هـ/٧٤٨م) سمي هو وأصحابه بالمعتزلة لاعتزالهم مجلس الحسن البصري، وذلك بسبب مسألة مرتكب الكبيرة فالحسن يقول بأنه لا يزال مؤمناً ولكنه فاسق فخالفه واصل ومعه عمرو بن عبيد فقالا فاسق لكنه غير مؤمن فهو في منزلة بين المنزلتين وهو مع ذلك مخلد في النار إن مات على كبيرته، ثم تطور أمر المعتزلة حتى صار مذهبًا، وقد غلبت على المعتزلة النزعة العقلية فاعتمدوا على العقل في تأسيس عقائدهم وقدموه على النقل، وقالوا بالفكر قبل السمع، ورفضوا الأحاديث التي لا يقرها العقل حسب وصفهم (الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد (ت ٥٤٨هـ): الملل والنحل: تحقيق/ محمد سيد كيلاني – دار المعرفة – بيروت – ١٤٠٤هـ ج١ ص٤٢، مانع بن حماد الجهني: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: – دار الندوة العالمية – ج١ ص٢٦).

(٢) عبد اللَّه المأمون بن هارون الرشيد بن مُحَمَّد المهدي بن عبد اللَّه المنصور بن مُحَمَّد بن علي بن عبد اللَّه بن العباس بن عبد المطلب، يُكنى أبا العباس، وقيل: أبا جعفر كان مولده عام (١٧٠هـ) استخلف المأمون في المحرم عام(١٩٨هـ) بويع له وهو بخراسان بعد قتل أخيه محمد الأمين، ومات المأمون بالبذندون (على طريق طرسوس) وهو متوجه لغزو الروم في ١٣ رجب عام(٢١٨هـ) وحمل إلى طرسوس فدفن بها في دار خاقان الخادم، وصلى عليه أخوه المعتصم، وخلافته من قتل الأمين عشرون سنة، وخمسة أشهر، واثنان وعشرون يومًا(الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد: ج١١ ص٤٣٠، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ): تاريخ الخلفاء: تحقيق/ محمد محي الدين عبد الحميد – مطبعة السعادة – مصر – الطبعة الأولى ١٣٧١هـ/١٩٥٢م ص٢٦٨، وما بعدها).

عصرها الذهبي في عهده حيث كان رجال المعتزلة يتصلون ببلاطه، وكان لهم تأثير كبير في نفسيته حتى أنه اعتنق الاعتزال، وفي عام (٢١٢هـ/٨٢٧م) أظهر القول بخلق القرآن وأعلن الاعتزال مذهبًا رسميًا للدولة.

يقول الطبري:" وفي هذه السنة أظهر المأمون القول بخلق القرآن وتفضيل علي بن أبي طالب عليه السلام وقال: هو أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك في شهر ربيع الأول"(١).

كما حمل المأمون الناس وغيرهم من العلماء على القول بخلق القرآن كما أمر نوابه أن يقوموا بامتحان العلماء والقضاة والمحدثين، وإحضار من يمتنع عن الإجابة إلى مجلسه وبدأ اضطهاد المأمون للمحدثين والفقهاء في السنوات الأخيرة من حكمه، وكان من بينهم الإمام أحمد بن حنبل الذي رفض القول بخلق القرآن فكان مصيره أن سجن في بغداد(٢).

وبعد وفاة المأمون عام(٢١٨هـ/٨٣٣م) تولى الخلافة أخوه المعتصم (٢١٨-٢٢٧هـ/٨٣٣-٨٤٢م)، وكان المأمون قد أوصاه قبل موته أن يأخذ بسيرته في مسألة خلق القرآن، ويسلك ما كان عليه وختم به عمره من امتحان الناس بخلق القرآن، وظلت هذه الفتنة طوال عهد المعتصم وابنه الواثق (٢٢٧-٢٣٢هـ/٨٤٢-٨٤٦م) الذي خلف أباه بالخلافة، وقد سار علي سياسة

(١) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد (ت ٣١٠هـ): تاريخ الرسل والملوك: دار التراث – بيروت – الطبعة الثانية ١٣٨٧هـ ج٨ ص٦١٩، ابن الأثير: الكامل: ج٥ ص٥٥٦.

(٢) الطبري: المصدر السابق: ج٨ ص٦٤٢.

أبيه وعمه المأمون فيما يتعلق بالمحنة، وفي عهده زادت قوة المعتزلة الذين حملوا الخليفة الجديد على التمادي بها " وعاقب من خالفه وحبس من أبدى عنادًا فيها، وكتب إلى القضاة أن يمتحنوا العدول فلا يقبلوا شهادة من لم يقل بقوله، فغلب هذا على الناس وحبس بهذا السبب خلقًا كثيراً[١].

وبعد وفاة الواثق (٢٣٢هـ/٨٤٦م) تولى المتوكل (٢٣٢-٢٤٧هـ/٨٤٦-٨٦١م) الخلافة وقد واجه قسوة المعتزلة، ولذلك فإنه اتخذ بعض الإجراءات لمواجهة قوة المعتزلة، وقد تمثلت هذه الإجراءات في الآتي:

١- أصدر في عام (٢٣٤هـ/٨٤٨م) أمرًا إلى ولاته بوقف أي نقاشات حول القرآن من حيث كونه مخلوقًا أو غير مخلوق، ففي رواية لليعقوبي قال:" نهي المتوكل عن الكلام في القرآن.... وكتب إلى الآفاق كتابًا ينهى عن المناظرة والجدل فأمسك الناس"[٢].

وفي رواية المسعودي قوله:

" لما أفضت الخلافة إلى المتوكل أمر بترك النظر والمباحثة في الجدال والترك لما كان الناس من أيام المعتصم والواثق والمأمون، وأمر الناس بالتسليم والتقليد وأمر الشيوخ المحدثين بالتحديث وإظهار السنة والجماعة[٣].

---

(١) اليعقوبي، أبو العباس أحمد بن إسحاق بن واضح (ت٢٨٤ه): تاريخه: طبعة ليدن ١٨٨٣م ج٢ ص٥٨٨.

(٢) اليعقوبي: المصدر السابق: ج٢ ص٥٩٢ .

(٣) المسعودي، أبي الحسين علي بن الحسين(ت٣٤٦هـ) مروج الذهب ومعادن الجوهر: تحقيق/ كمال مرعي - المكتبة العصرية - صيدا - بيروت - الطبعة الأولى١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م ج٤ ص٧١.

أما الطبري فيورد باقتضاب جهود المتوكل لإيقاف المحنة فيقول:" وكان المتوكل لما أفضت إليه الخلافة ينهى عن الجدال في القرآن وغيره، ونفذت كتبه بذلك إلى الآفاق"(١).

وأما السيوطي فيحدد العام الذي رفع به المتوكل المحنة وذلك بقوله:"وبويع له في ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين بعد الواثق، فأظهر الميل إلى السنة، ونصر أهلها ورفع المحنة، وكتب بذلك إلي الآفاق وذلك في سنة أربع وثلاثين ومائتين"(٢).

٢- قام بتشجيع الفقهاء والمحدثين وطلب منهم أن يحدثوا بأحاديث الصفات والرؤية والأحاديث التي فيها ردًا علي المعتزلة(٣).

- أمر بإطلاق سراح من كان في السجون بسبب مسألة خلق القرآن من أهل البلدان، فخلاهم جميعًا وكساهم"(٤).

- أمر المتوكل بمراقبة رجال المعتزلة وعلمائهم والتضييق عليهم ومطاردتهم والقبض عليهم، كما قام بالتخلص من رموز المعتزلة مثل وزير أخيه الواثق(محمد بن عبد الملك الزيات)(٥) فأمر بالقبض عليه وحبسه مقيدًا،

---

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك: ج٩ ص١٩٠ .

(٢) السيوطي: تاريخ الخلفاء: ص٢٥٢.

(٣) السيوطي: المصدر السابق: ص٢٥٢.

(٤) اليعقوبي: تاريخه: ج٢ ص٥٩٢.

(٥) أبو جعفر محمد بن عبد الملك بن أبان بن حمزة، المعروف بابن الزيات، وزير المعتصم والواثق. كان أديبًا بليغًا عالمًا بالنحو واللغة قتله المتوكل عام (٢٣٣هـ)(ابن خلكان: وفيات الأعيان ج٥ ص٩٥ وما بعدها).

كما أمر بتعذيبه بالتنور الذي كان ابن الزيات قد صنعه من الحديد ودق فيه مسامير ليعذب فيه المخالفين له في الاعتزال، فأمر المتوكل بإدخاله فيه وتعذيبه حتى مات(١).

بعد هذه الإجراءات تدهورت أحوال المعتزلة ليس فقط من جراء اضطهاد الدولة، بل أيضًا إلى انقسامهم إلى جماعات متناحرة بلغت اثنتين وثلاثين فرقة، لكن ما لبثت أن عادت مرة أخرى في عهد بني بويه

ثانيًا: سياسة الخليفة القادر بالله مع المعتزلة.

لم يسلك القادر بالله سياسته الدينية مع الشيعة فقط، بل جمع في سياسته بين الشيعة والمعتزلة، فيذكر المؤرخون أنه في عام (٤٠٨هـ/١٠١٧م): "وقعت فتنة عظيمة، بين السنّة والشيعة وتفاقمت، وقتل الكثير من الفريقين"، وفيها "استتاب القادر باللَّه أمير المؤمنين فقهاء المعتزلة، فأظهروا الرجوع، وتبرءوا من الاعتزال، ثم نهاهم عن الكلام والتدريس والمناظرة في الاعتزال والرفض والمقالات المخالفة للإسلام، وأخذ خطوطهم بذلك، وأنهم متى خالفوه حل بهم من النكال والعقوبة ما يتعظ به أمثالهم"(٢).

وقد يتسأل البعض: إذا كان موقف القادر بالله من الشيعة له ما يبرره، فلم استتاب المعتزلة أيضًا؟.

---

(١) الخطيب البغدادي: مصدر سابق: ج٣ ص٥٩٣.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم: ج١٥ ص١٢٥، ابن الأثير: الكامل: ج٧ ص٦٤٩، ابن كثير: البداية والنهاية: ج١٢ ص٨.

يمكن الإجابة على ذلك من خلال عدة نقاط:

١-التقارب بين المعتزلة والشيعة.

مما لاشك فيه أنه وُجِدَ في فكر المعتزلة ميول شيعية في فترة مبكرة من نشأتهم، لكن هذه الميول لم تدفع المعتزلة إلى تبني آراء سياسية كالتي قام عليها التشيع كحزب سياسي، وقد وجدت هذه الميول في فكر بعض معتزلة البصرة، ووجدت بصورة أوضح وأكثر في فكر مدرسة بغداد، فقد وجد بين معتزلة البصرة من يفضل عليًا على عثمان – رضي الله عنهما – ووجد في مدرسة بغداد من يقول بأفضلية علي – رضى الله عنه– على الخلفاء جميعًا – رضى الله عنهم –[١].

وعلى الرغم من الاختلاف بينهم في بعض الأمور فالمعتزلة أهل تنزيه مطلق لله عز وجل، لكن الشيعة الأوائل كانوا أهل تجسيم[٢] كما أن المعتزلة يرتكزون على العقل في الأصول والفروع، لكن الشيعة يعتمدون على الإمام المعصوم، فلا إعمال للعقل ولا اجتهادات خارجة عن قول المعصوم، وتزداد الفوارق بين الفريقين في أصول كثيرة كالنصّ على الإمامة، والقول بالغيبة والرجعة، ونحو ذلك مما لا يمكن أن يقره المعتزلة أو يوافقوا عليه، خاصة أنها في معظمها مسائل لا تتحملها دلالات النصوص إلا بتأويلات متعسفة وتكلف ملحوظ، ولا ترتضيها عقول المعتزلة بما عُرف عنهم من تمرّد، لكن ربما كانت العلاقة بين المعتزلة والشيعة أقرب خاصة منذ بداية القرن الرابع

---

(١) عبد المجيد بدوي: التاريخ السياسي والفكري: ص٧٨.

(٢) الشهرستاني: الملل والنحل:

الهجري ويرجع ذلك إلى أن سقوط المعتزلة السياسي على أيدي الخليفة المتوكل (٢٣٢-٢٤٧هـ/ ٨٤٧-٨٦١م)، قد أدى إلى سقوطهم الفكري حتى جاء أبو الحسن الأشعري[١] (ت٣٢٤هـ) فقضى على ما تبقى لهم من نفوذ، ومن هنا احتاج المعتزلة إلى نصير ومعضّد فتحالفوا سياسيًا مع الشيعة، فالتقى الرافضة مع المعتزلة، فأخذ الرافضة عقيدة المعتزلة؛ لأنهم ليس لديهم عقيدة في الأصل، وقالوا: إن عقيدة المعتزلة أصلها مأخوذ عن أهل البيت؛ لأن زيد بن علي بن الحسن تتلمذ على يد واصل بن عطاء، فنحن عندما نعتقدها لا نعتقدها على أنها عقيدة واصل، ولكن لأنها عقيدة زيد بن علي، فأخذوا عقيدة المعتزلة، فكان هذا التحول نشرًا لعقائد المعتزلة، فحيثما وجدت الشيعة وجدت المعتزلة[٢].

إذن هناك ارتباط وثيق بين الشيعة والمعتزلة، يقول متز:" إن الشيعة من حيث العقيدة والمذهب هم ورثة المعتزلة في ذلك الحين"[٣]، فعندما شكلت

(١) أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق يمتدد نسبه إلى أبي موسى الأشعري الصحابي الجليل وإلي أبي الحسن الأشعري تنسب الطائفة الأشعرية وهو صاحب الأصول والقائم بنصرة مذهب السنة وكان أبو الحسن يجلس أيام الجمع في حلقة أبي إسحاق المروزي الفقيه الشافعي في جامع المنصور ببغداد. ومولده سنة سبعين، وقيل ستين ومائتين بالبصرة، وتوفى عام (٣٢٤هـ) ببغداد ودفن بين الكرخ وباب البصرة(ابن خلكان: وفيات الأعيان: ج٣ ص٢٨٤).

(٢) سفر الحوالي: مقال بعنوان: تبني الشيعة لمذهب المعتزلة: موقع الشيخ سفر الحوالي.

(٣) آدم متز: الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري: ترجمة/ محمد عبد الهادي أبو ريده – دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان – الطبعة الخامسة – ج١ ص١٢٤.

الشيعة قوة كبيرة، وكانت لهم الحاكمية السياسية أو كان نفوذهم الكبير فيها، لم يكن أمام المعتزلة من أجل الحفاظ على أنفسهم وكيانهم سوى اللجوء إليهم[١]، ويقول المقريزي: "قلما يوجد معتزلي إلا وهو رافضي" [٢].

ويقول المقدسي:" أنه وجد أكثر الشيعة في بلاد العجم معتزلة، وأكثر فقهائهم على الاعتزال، والأمير عضد الدولة البويهي[٣] (٣٦٨-٣٧٣هـ/٩٧٨-٩٨٣م) يعمل على مذهب المعتزلة، ووجد العوام في الري يتابعون الفقهاء في خلق القرآن، حتى لتقع العصبيات بينهم في ذلك، وفي خوزستان كان معظم السكان من المعتزلة أيضًا، وقد ألتقي في رام هرمز احدي مدن خوزستان بشيخ يدرس الكلام على مذهب المعتزلة، أما شيعة

(١) رسول جعفريان: المسار الفكري بين المعتزلة والشيعة: ترجمة/ خالد توفيق – دار الصفوة – بيروت ١٩٩٣م ص٤٠.

(٢) المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر(ت٨٤٥هـ): المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار: دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ج٤ ص١٧٥.

(٣) عضد الدولة، أبو شجاع فنا خسرو بن ركن الدولة ثاني ملوك بني بويه برز عضد الدولة بعد وفاة عمه عماد الدولة، حيث خلفه في حكم أصفهان وشيراز وبلاد الكرج، وتطلعت طموحاته إلى الاستيلاء على العراق التي كانت تحت يد ابن عمه بختيار بن معز الدولة، وبعد أن آلت إليه رئاسة البيت البويهي زحف إلى العراق واستولى عليها من ابن عمه بختيار، وتمكن من القبض على بختيار وقتله في سنة (٣٦٧هـ/٩٧٨م)، واستولى على ما تحت يديه، واستقر في بغداد، وأصبحت عاصمة الخلافة عاصمة لبني بويه، وخُطب له على منابرها إلى جانب الخليفة العباسي(ابن خلكان: وفيات الأعيان: ج٤ ص٥٠ وما بعدها، الصفدي: الوافي بالوفيات: ج٢٤ ص٦٤).

عمان وصعدة وسواحل البحرين، فكلهم معتزلة"[١]، وقد زاد هذا التقارب بصورة أكبر خلال العصر البويهي.

٢- علو شأن المعتزلة وانتشار مذهبهم في العصر البويهي (٣٣٤-٤٤٧هـ/٩٤٥-١٠٥٥م)

باستيلاء البويهيين الشيعة على العراق سنة (٣٣٤هـ/٩٤٥م) عاد المعتزلة إلى الظهور مرة أخرى، وذلك لأن بني بويه كانوا شيعة، فأسرفوا في إذلال الخلفاء وسلبوهم النفوذ والسلطان. ووجد المعتزلة الفرصة مواتية لاحتواء السلاطين الجدد ونجحوا في استمالة بعضهم إلى مذهبهم، فكان عضد الدولة البويهي يعمل بمذهب الاعتزال[٢]، ونتيجة لذلك انتشر الاعتزال مرة ثانية في هذا العصر، يقول المقريزي:"إن مذهب الاعتزال فشا تحت ظل الدولة البويهية في العراق وخراسان وما وراء النهر"[٣] وقد بلغ المعتزلة أعظم نفوذهم في عصر الصاحب بن عباد[٤] (ت٣٨٥هـ/ ٩٩٥م) الذي كان

---

(١) المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت نحو٣٨٠هـ) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم: دار صادر – بيروت ١٩٨٠م ص٩٦، ٤١٥، ٤٣٩، ٤٦٤.

(٢) المقدسي: أحسن التقاسيم: ص٤٣٩.

(٣) المقريزي: المواعظ والاعتبار: ج٤ ص١٩١.

(٤) أبو القاسم إسماعيل بن عباد بن العباس الطالقاني، وزير غلب عليه الأدب، فكان من نوادر الدهر علمًا وفضلاً وتدبيرًا وجودة رأي. استوزره مؤيد الدولة ابن بويه الديلمي ثم أخوه فخر الدولة، ولقب بالصاحب لصحبته مؤيد الدولة من صباه، فكان يدعوه بذلك، وهو معتزلي شيعي، من أفقه علماء الشيعة، له تصانيف جليلة وكان يستصحب في أسفاره حمل ثلاثين جملًا من كتب الأدب، فلما وقع على كتاب (الأغاني) لأبي الفرج الأصفهاني فلم يصحب غيره، ولد في الطالقان (من أعمال قزوين) وإليها نسبته، وتوفى بالري ونقل إلى أصبهان فدفن فيها عام (٣٨٥هـ/٩٩٥م) (ابن خلكان: وفيات الأعيان: ج١ ص٢٢٨-٢٣٣، الصفدي: الوافي بالوفيات: ج١٨ ص٢١).

وزيرًا لمؤيد الدولة البويهي (٣٦٧-٣٧٤هـ/ ٩٧٧-٩٨٤م) في الري[١] ثم لأخيه فخر الدولة (٣٧٤-٣٨٧هـ/٩٨٤-٩٩٧م) فاستقل الصاحب بالوزارة لمدة ثمانية عشر عامًا (٣٦٧-٣٨٥هـ/٩٧٧-٩٩٥م)، ومنحه سلطة مطلقة في هذا الإقليم، وقد بذل الصاحب بن عباد أقصى جهده لنشر الاعتزال وحمل الناس عليه بمختلف الوسائل، وكان لا يتورع من دخول نقاشات دينية فلسفية مستندة لمرجعية اعتزالية، حيث كان يلتقي بكبار العلماء من السنة ويناظرهم، وقد أخذ الصاحب بن عباد مذهب الاعتزال عن أبيه، وكان متعصبًا للمعتزلة، فكان لا يولي القضاء في دولته الشيعية إلا من كان معروفًا بالاعتزال، لذا استدعى إلى الري عبد الجبار بن أحمد الهمذاني الذي انتهت إليه رئاسة المعتزلة في هذه الفترة، وولاه رئاسة القضاء فيها وفي قزوين وغيرهما، وكان ذلك سببًا في انتشار كتب عبد الجبار الهمذاني، وبالتالي انتشار مذهب المعتزلة[٢].

ونتيجة لذلك ازدهر مذهب الاعتزال في هذه الفترة، وعاش فترة انبعاث جديدة تحت رعاية الصاحب بن عباد حتى اعتنق مذهبه كثيرون يقول

(١) الري، مدينة مشهورة من أمهات البلاد وأعلام المدن كثيرة الخيرات، وهي قصبة بلاد الجبال، قال الإصطخرى: كانت أكبر من أصفهان وأخير منها(الاصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي (ت٣٤٦هـ): المسالك والممالك: دار صادر – بيروت – ٢٠٠٤ م ص١٩٩، ياقوت الحموي: معجم البلدان: ج٣ ص١١٦ وما بعدها).

(٢) عمر الأشقر: القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة: دار النفائس – الكويت ١٩٨٠م ص١٢٧، عبد المجيد بدوي: التاريخ السياسي والفكري: ص٩٠، ٩١، محمد صياح العيسى: المعتزلة في العصر البويهي: مجلة المنارة – جامعة آل البيت – الأردن – مجلد ٢١- العدد الثالث لعام ٢٠١٥ – ص٣٣٠.

البغدادي عند ذكره لأبي هاشم الجبائي[١]: "وأكثر معتزلة عصرنا على مذْهبه لدَعْوَة ابْن عباد وَزِير آل بويه إليه"[٢].

ولم يكن انتشار مذهب الاعتزال في الري وحدها، وإنما انتشر في أماكن كثيرة في فارس بسبب سياسة البويهيين المشجعة لكل الحركات المناهضة للخلافة السنية من ناحية، ونتيجة للتقارب بين الشيعة والمعتزلة من ناحية أخرى[٣].

وقد كان ذلك لصالح المعتزلة فقد أعادت اعتبارها وعادت إلى السطح السياسي بقوة، فإن استعانة المعتزلة بآل بويه أعاد شيئًا كثيرًا من قوتهم، فقد كانت لهم حلقات كبيرة يدرسون فيها أصولهم وقواعدهم دون معارضة، كحلقة أبي الحسين محمد بن الطيب البصري في بغداد"[٤].

---

(١) هو أبو هاشم عبد السلام بن أبي علي محمد الجبائي نِسْبَة إِلَى قَرْيَة من قرى الْبَصْرَة، كان هو وأبوه من كبار المعتزلة، ولهما مقالات على مذهب الاعتزال، وَكَانَ يُصَرح بِخلق الْقُرْآن ولد أبي هاشم عام (٢٤٧هـ) وتوفي عام (٣٢١هـ) ببغداد، ودفن في مقابر البستان من الجانب الشرقي(ابن خلكان: وفيات الأعيان: ج٣ ص١٨٢، ١٨٣، الصفدي: الوافي بالوفيات: ج١٨ ص٢٦٣، ٢٦٤).

(٢) الفرق بين الفرق: ص١٦٩.

(٣) عبد المجيد بدوي: التاريخ السياسي والفكري: ص٩١.

(٤) أبو الحسين البصري، محمد بن علي بن الطّيب شيخ المعتزلة، وصاحب التصانيف الكلامية، وكان من أذكياء زمانه، توفي ببغداد في ربيع الآخر، وكان يقرئ الاعتزال ببغداد (ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد (ت١٠٨٩هـ): شذرات الذهب في أخبار من ذهب: تحقيق/ محمود الأرناؤوط – دار ابن كثير، دمشق – بيروت – الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ج٥ ص١٧٢).

لذلك كانت الدولة البويهية نقطة مفصلية على مستوى الفكر العقائدي فقد تقارب بها الفكر الشيعي مع الفكر الاعتزالي حتى أصبحا صفة واحدة تطلق على العديد من العلماء كرافضي معتزلي[١].

وبهذا التقارب والتعاون بين البويهيين والمعتزلة ارتفع شأن الاعتزال مرة أخرى على أيدي الشيعة البويهيين.

وبالعودة إلى عام (٤٠٨هـ/١٠١٧م) يبدو أن المعتزلة كانوا قد شاركوا في الفتنة التي وقعت بين السنة والشيعة لذلك جمع القادر بالله بينهم وبين الشيعة.

وأمام ذلك كله من تقارب بين الشيعة والمعتزلة، وعلو شأنهم في العصر البويهي وانتشار مذهبهم، بل ومشاركتهم في الفتن التي وقعت بين السنة والشيعة في بغداد، عمد الخليفة القادر بالله إلى توجيه سهامه نحوهم، ففي عام (٤٠٨هـ/ ١٠١٧م) "استتاب فقهاء المعتزلة، ثم نهاهم عن الكلام والتدريس والمناظرة في الاعتزال والرفض والمقالات المخالفة للإسلام، وأخذ خطوطهم بذلك، وأنهم متى خالفوه حل بهم من النكال والعقوبة ما يتعظ به أمثالهم"[٢]

ويبدو أنهم أظهروا الرجوع في هذا العام لكنهم لم يرجعوا بالفعل، بل إنهم تمادوا في غيهم وأظهروا مقولتهم القديمة وهي القول بخلق القرآن فيذكر المؤرخون أنه في عام (٤٠٩هـ/ ١٠١٨م)" قرئ يوم الخميس السابع عشر

(١) محمد العيسى: المعتزلة في العصر البويهي: ص٣٢٦.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم: ج١٥ ص١٢٥، ابن الأثير: الكامل: ج٧ ص٦٤٩، ابن كثير: البداية والنهاية: ج١٢ ص٨.

من المحرم في الموكب بدار الخلافة كتاب بمذاهب السنة، وقيل فيه: من "قال إن القرآن مخلوق فهو كافر حلال الدم"[١].

يتضح من ذلك أنهم عادوا سيرتهم الأولى في القول بخلق القرآن مما جعل الخليفة يكفر من قال ذلك بل ويبيح دمه.

وهذا تطور كبير يعكس القوة التي وصل إليها القادر بالله، كما يوضح موقف الخليفة من عقيدة أهل السنة والجماعة واهتمامه بها ورعايته لها وقدرته على مواجهة الانحرافات، وأن الجمع بين المعتزلة والشيعة له دلالة عظيمة في إظهار العلاقة الوثيقة بين الفرقتين.

لم يكتف القادر بمطاردة المعتزلة داخل بغداد فقط، وإنما أرسل إلى السلطان محمود الغزنوي يأمره بملاحقتهم، وامتثل السلطان الغزنوي لأمر الخليفة واستن بسنته، فأمر بقتل المخالفين، ونفيهم وحبسهم، كما أمر بلعنهم على المنابر، وإبعاد كل طائفة من أهل البدع وطردهم عن ديارهم، وصار ذلك سنة في الإسلام[٢].

وفي عام (٤٢٠هـ/١٠٢٩م) وتنفيذاً لسياسة الخليفة العباسي القادر بالله الدينية استطاع السلطان محمود الغزنوي الاستيلاء على الري معقل المعتزلة، وكانت تحت حكم مجد الدولة البويهي (٣٨٧-٤٢٠هـ/٩٩٧-١٠٢٩م)

(١) ابن الجوزي: المنتظم: ج١٥ ص١٢٨، الذهبي: تاريخ الإسلام: ج٢٨ ص٢٩، ابن كثير: البداية والنهاية: ج١٢ ص٩.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم: ج١٥ ص١٢٥، ١٢٦، نيفين رجب: الخليفة القادر بالله: ص٣٧.

وأرسل إلى الخليفة القادر بالله كتابًا طويلًا يبشره فيه بالفتح، ويصف له حال هذا الاقليم في عهد البويهيين، ومما جاء في هذا الكتاب:" وقد أزال الله عن هذه البقعة أيدي الظلمة وطهرها من دعوة الباطنية الكفرة والمبتدعة الفجرة، وقد تناهت إلى الحضرة المقدسة حقيقة الحال في ما قصر العبد عليه سعيه واجتهاده من غزو أهل الكفر والضلال، وقمع من نبغ ببلاد خراسان من الفئة الباطنية الفجار، وكانت مدينة الري مخصوصة بالتجائهم إليها وإعلانهم بالدعاء إلى كفرهم فيها يختلطون بالمعتزلة المبتدعة والغالية من الروافض المخالفة لكتاب الله والسنة يتجاهرون بشتم الصحابة ويسرون اعتقاد الكفر ومذهب الإباحة..... ".

ثم يذكر رأي الفقهاء فيهم فيقول:" فرجع إلى الفقهاء في تعرف أحوالهم، فاتفقوا على أنهم خارجون عن الطاعة وداخلون في أهل الفساد مستمرون على العناد، فيجب عليهم القتل والقطع والنفي على مراتب جناياتهم، وإن لم يكونوا من أهل الإلحاد فكيف واعتقادهم في مذاهبهم ولا يعدو ثلاثة أوجه تسود بها الوجوه في القيامة، التشيع والرفض والباطن، وذكر هؤلاء الفقهاء أن أكثر القوم لا يقيمون الصلاة، ولا يؤتون الزكاة، ولا يعرفون شرائط الإسلام، ولا يميزون بين الحلال والحرام، بل يجاهرون بالقذف وشتم الصحابة، ويعتقدون ذلك ديانة، والأمثل منهم يتقلد مذهب الاعتزال، والباطنية منهم لا يؤمنون باللَّه عز وجل وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وأنهم يعدون جميع الملل مخاريق الحكماء، ويعتقدون مذهب الإباحة في الأموال والفروج والدماء....".

ثم يذكر ما أنزله بهم من العقاب فيذكر أنه:" قبض على المعتزلة والغلاة والروافض ونفاهم إلى خراسان ليتخلص الناس من شرهم، وأنه أحرق كتبهم إذ كانت أصول البدع، فخلت هذه البقعة من دعاة الباطنية وأعيان المعتزلة والروافض، وانتصرت السنة فطالع العبد بحقيقة ما يسره الله تعالى لأنصار الدولة القاهرة" (١).

وفي شهر رجب من نفس العام (٤٢٠هـ/١٠٢٩م) جمع الخليفة القادر بالله الأشراف والقضاة والشهود والفقهاء في دار الخلافة، وقرئ عليهم كتاب طويل كان قد ألفه ويتضمن الوعظ وتفضيل مذهب السنة، والطعن على المعتزلة وإيراد الأخبار الكثيرة في ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة، كما أنه أعاد نفس الفعل في غرة ذي القعدة من نفس العام "جمع القضاة والشهود والفقهاء والوعاظ والزهاد إلى دار الخلافة، وقرئ عليهم كتاب طويل يتضمن ذكر أبي بكر وعمر وفضائلهما ووفاة النبي صلى الله عليه وسلم، والطعن على من يقول بخلق القرآن"(٢).

ويبدو أن تلك الاجراءات التي اتخذها الخليفة القادر بالله تنفيذاً لسياسته الدينية ضد المعتزلة والشيعة قد أغضبت بعضهم، ففي التاسع عشر من ذي القعدة من نفس العام(٤٢٠هـ/١٠٢٩م) يذكر ابن الجوزي:" أن أحد الخطباء كان يخطب في جامع براثا ويذكر في خطبته مذهبًا فاحشاً من مذاهب الشيعة،

(١) ابن الجوزي: المنتظم: ج١٥ ص١٩٥، ١٩٦.

(٢) ابن الجوزي: المصدر نفسه: ج١٥ ص١٩٧، ١٩٨.

فقبض عليه بأمر من دار الخلافة، وحل مكانه أبو منصور بن تمام[1]، فلما صعد المنبر دقه بعقب سيفه، على ما جرت به العادة، والشيعة تنكر ذلك، وخطب خطبة قصر فيها عما كان يفعله من تقدمه في ذكر علي بن أبي طالب، وختم قوله بأن قال: اللَّهمّ اغفر للمسلمين، ومن زعم أن عليا مولاه، فرماه العامة حينئذ بالآجر[2] وأدموا وجهه، ونزل من المنبر ووقف بعض الحراس دونه حتى صلى ركعتي الجمعة خفيفة فلما عرف الخليفة ذلك أظهر استياءه مما حدث، وأمر باستدعاء الشريفين أبي القاسم المرتضى، وأبي الحسن الزينبي، وأمر بمكاتبة الحضرة الملكية والوزير أبي علي ابن ماكولا في هذا المعنى فكان فيما كتب:

«بسم الله الرحمن الرحيم إذا بلغ الأمر، أطال الله بقاء صاحب الجيش، إلى الجرأة على الدين وسياسة الدولة والمملكة، ثبتها الله من الرعاع والأوباش، فلا صبر دون المبالغة بما توجبه الحمية وبغير شك أنه قد بلغه ما جرى في يوم الجمعة الماضية من مسجد براثا الذي يجمع الكفرة والزنادقة، ومن قد تبرأ الله منه فصار أشبه شيء بمسجد الضرار، وذلك أن خطيبًا كان فيه يجري إلى ما لا يخرج به عن الزندقة والدعوى لعلي بن أبي طالب عليه

---

(١) لم أعثر له على ترجمة في المصادر المتاحة ويبدو أنه من علماء السنة.

(٢) الْآجُرُّ طَبِيخُ الطِّين أوالطُّوبُ وقيل اللبن المعد للبناء (ابن فارس، أحمد بن زكريا القزويني (ت ٣٩٥هـ): مجمل اللغة: دراسة وتحقيق/ زهير عبد المحسن سلطان – الرسالة – بيروت الطبعة الثانية١٤٠٦هـ /١٩٨٦م ص٥٩، الزَّبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس: ج٦ ص١٤.

السلام ما لو كان حيًا، فسمعه لقتل قائله وقد فعل مثل ذلك في الغواة أمثال هؤلاء الغثاء الذين يدعون للَّه، ما تكاد السموات يتفطرن منه، فإنه كان في بعض ما يورده هذا الخطيب قبحه الله بعد الصلاة على النبي ﷺ، فيقول وعلى أخيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب مكلم الجمجمة، ومحيي الأموات البشري الإلهي مكلم فتية أصحاب الكهف، إلى غير ذلك من الغلو المبتدع الذي تقشعر منه الجلود، ويتحرك منه المسلمون، وتنخلع قلوبهم، ويرون الجهاد فيه كجهاد الثغر، فلما ظهر ذلك قبض على الخطيب وأنفذ ابن تمام ليعتمد إقامة الخطبة القويمة، فأورد الرسم الذي يطرق الأسماع من الخطبة ولم يخرج عن قوله: اللَّهمّ صل على محمد وعلى آله الطاهرين وأصحابه المنتجبين وأزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين، وذكر العباس وعليا عليهما السلام، ثم قال في التفاته المعهود عن يمينه: اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد إمام أئمة الهدى، وعن يساره اللهم صل على محمد الشفيع المشفع في الورى وأقام الدعوتين الجليلتين، ونزل فوافاه الآجر كالمطر فخلع كتفه وكسر أنفه وأدمى وجهه وهو لما به وأشيط بدمه لولا أنه كان هناك أربعة من الأتراك أيدهم الله فنفروا واجتهدوا في أن حموه لكان قد هلك، وهذه هجمة على دين الله وفتك في شريعة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم" (١).

من هذا النص يتبين موقف الخليفة القادر من هذه الحادثة فيأمر باستدعاء كبار الشيعة وعلى رأسهم أبي القاسم المرتضى، وأبي الحسن الزينبي وعاتبهم

(١) المنتظم: ج١٥ ص١٩٩، ٢٠٠.

فيما حدث وأمر بأن يكتب محضرًا وقد وصف فيه شيعة المسجد بالكفرة والزنادقة ووصف المسجد بمسجد الضرار، ووصف خطيب الشيعة بالغلو حينما يتحدث عن علي ﷺ فيرفعه إلى درجة الإلوهية، بل ويدافع عن خطيب السنة أبو منصور بن تمام، ويذكر ما حدث له من إهانة وضرب وكسر وغير ذلك، وقد تعطلت الجمعة في مسجد براثا خوفًا من الفتنة، ولم تستأنف إلا بعد أن اجتمع قوم من مشايخ أهل الكرخ فصاروا مع الشريف المرتضى إلى دار الخلافة فأحالوا على سفهاء الأحداث فيما جرى للخطيب وسألوا الخليفة الصفح عن الجناية، وألا يخلي عن هذا المسجد من المراعاة وإقامة الخطبة فيه، فعين لهم خطيب وعادت الصلاة في مسجد براثا بعد أن عملت للخطيب نسخة يعتمدها فيما يخطب(١).

هذه المواقف من الخليفة القادر بالله تبين لنا: أنه ما كان ليقف موقف المتفرج أمام هذه التجاوزات الصادرة من الشيعة والمعتزلة وأمثالهم، وهذا يبين مدى حرصه على إعلاء مذهب السنة وإعادة الهيبة للخلافة العباسية السنية.

وإذا كانت هذه هي سياسة القادر بالله مع الشيعة والمعتزلة، فما هي سياسته مع الفاطميين في مصر؟

ثالثًا: سياسة القادر بالله مع الفاطميين في مصر.

---

(١) ابن الجوزي: المنتظم: ج١٥ ص٢٠١.

إذا كان ما مضى قد بين لنا سياسة الخليفة القادر بالله الدينية تجاه الشيعة والمعتزلة داخل العراق، فقد كانت له سياسة أخرى مع الفاطميين في مصر.

لكن قبل الحديث عن سياسة القادر بالله مع الفاطميين فهناك سؤال يطرح نفسه وهو أن الخليفة القادر إذا كان قد توجب عليه مواجهة الشيعة والمعتزلة داخل العراق وهو مقر خلافته، فلماذا توجه بسياسته نحو الفاطميين في مصر؟.

وللإجابة على هذا التساؤل يجب علينا الرجوع إلى ما قبل زمن القادر بالله لنتعرف على الأسباب التي جعلته يسلك هذه السياسة تجاه الفاطميين.

وفي حقيقة الأمر كانت هناك عدة أسباب لذلك منها.

١- انتشار الدعوة الفاطمية.

قام دعاة الفاطمية في بغداد بعد قيام دولتهم في بلاد المغرب بنشاط كبير لنشر دعوتهم في بغداد حتى بلغ من نفوذهم أن نجحوا في جذب كثير من أهالي العراق الى اعتناق الدعوة الفاطمية(١).

ويتضح ذلك من الحديث الذي دار بين وزير الخليفة المقتدر (٢٩٥-٣٢٠هـ/ ٩٠٨-٩٣٢م) علي بن عيسى وبين أحد الاسماعيلية من أهل العراق والذي ذكره ابن الأثير بقوله:" وجاء إنسان إلى علي بن عيسى، وأخبره أن في

(١) محمد جمال الدين سرور: النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق في القرنين الرابع والخامس بعد الهجرة: دار الفكر العربي – القاهرة – ص٧٣.

جيرانه رجلًا من شيراز على مذهب القرامطة يكاتب أبا طاهر[1] بالأخبار، فأحضره، وسأله واعترف، وقال: ما صحبت أبا طاهر إلا لما صح عندي أنه على الحق وأنت وصاحبك كفار تأخذون ما ليس لكم، ولا بد لله من حجة في أرضه، وإمامنا المهدي محمد بن فلان بن فلان بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق المقيم ببلاد المغرب، ولسنا كالرافضة، (والاثني عشرية) الذين يقولون بجهلهم إن لهم إمامًا ينتظرونه، ويكذب بعضهم لبعض فيقول: قد رأيته وسمعته وهو يقرأ، ولا ينكرون بجهلهم وغباوتهم أنه لا يجوز أن يعطى من العمر ما يظنونه، فقال له: قد خالطت عسكرنا وعرفتهم، فمن فيهم على مذهبك؟ فقال: وأنت بهذا العقل تدبر الوزارة، كيف تطمع مني أنني أسلم قومًا

(١) أبو طاهر الجنابي، سليمان بن أبي سعيد الحسن بن بهرام القرمطي، رئيس القرامطة تقلد زمام الحكم في دولة القرامطة ببلاد البحرين عام(٣٠٥هـ) وكان طموحا الى المجد والشهرة، قضى السنوات الأولى من حكمه في تنظيم شئون دولته، وإعداد العدة للسيطرة على جزيرة العرب، وقد تجلى في عهده قيام العلاقات الودية بين القرامطة والفاطميين ببلاد المغرب واتحادهم في سياستهم العدائية إزاء العباسيين اشتهر بغارة شنها على مكة يوم التروية عام ٣١٧ هـ والناس محرمون، ونهب أموال الحجاج وقتل منهم الكثير، واقتلع الحجر الأسود وأرسله إلى هجر حيث مكث فيها اثنتين وعشرين عاما وفي عام(٣٣٩ه) أمره الخليفة الفاطمي المنصور(٣٣٤-٣٤١هـ) بإعادته (ابن خلكان: وفيات الأعيان: ج٢ ص١٤٧، ١٤٩، ابن الأثير: الكامل: ج٦ ص٧٤٢، ج٧ ص١٩٠، محمد جمال الدين سرور: النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب: دار الفكر العربي – القاهرة – ١٩٩٣م ص٣٤، ٣٥).

مؤمنين إلى قوم كافرين يقتلونهم؟ لا أفعل ذلك. فأمر به فضرب ضربًا شديدًا، ومنع الطعام والشراب فمات بعد ثلاثة أيام[١].

يفهم من ذلك أن الدعوة الفاطمية وأمثالها من الدعوات المنحرفة قد انتشرت بين الناس في بغداد، بل بين جند الخلافة العباسية.

٢- محاولة تحويل الخلافة من العباسيين إلى الفاطميين في عهد بني بويه (٣٣٤-٤٤٧هـ/٩٤٥-١٠٥٥م)

منذ بداية القرن الرابع انتهز الفاطميون ضعف الخلفاء العباسيين بسبب استفحال نفوذ القواد الاتراك واستقلال الامراء بولايتهم ثم استبداد البويهيين بأمور الخلافة عام (٣٣٤هـ/٩٤٥م)، فأخذوا يبثون دعاتهم الى بلدان الدولة العباسية لنشر الدعوة لهم[٢] إذ أن بني بويه من الشيعة كما كان الفاطميون، وكانت مسألة تحويل الخلافة من العباسيين إلى الفاطميين من المسائل التي فكر فيها بنو بويه في بادئ الأمر بعد أن استأثروا بالسلطة في بغداد[٣] فكانوا يرون أن العباسيين مغتصبون للخلافة ولذلك فكر معز الدولة البويهي (٣٣٤-٣٥٦هـ/٩٤٥-٩٦٧م) بإعادة الخلافة إلى العلويين، فاستشار خواص أصحابه في إخراج الخلافة عن العباسيين والبيعة للمعز العبيدي في مصر، ولكن أحد أصحابه قال له: ليس هذا برأي، فإنك اليوم مع خليفة تعتقد أنت وأصحابك أنه ليس من أهل الخلافة، ولو أمرتهم بقتله لقتلوه، (مستحلين دمه) ومتى أجلست

(١) الكامل في التاريخ: ج٦ ص٧١٤.

(٢) محمد جمال الدين سرور: سياسة الفاطميين الخارجية ص١٦٦-١٦٧.

(٣) حسن ابراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية: ١٣٩.

بعض العلويين خليفة كان معك من يعتقد أنت وأصحابك صحة خلافته فلو أمرهم بقتلك لفعلوه[١]، واستحسن معز الدولة هذا الرأي وأعرض عن فكرته[٢]

والواضح أن معز الدولة البويهي عدل عن هذه الفكرة لما رأى أن سلطانه قد يتعرض للخطر بسبب وجود خلافة علوية يطيعها الجند الديالمة، ويكونون أداة في يد الخليفة يستغلها لمصلحته متى شاء، وفضل أن يستبد بالسلطة في ظل خليفة عباسي ضعيف بدلًا من أن يكون تابعًا لخليفة قوي معترف بإمامته[٣].

ومع ذلك ظل أمراء بني بويه على اتصال بالفاطميين حتى أنهم سمحوا لدعاتهم بنشر مذهبهم في البلاد التي خضعت لنفوذهم.

لقد رسم الفاطميون سياستهم على أساس التوسع والسيطرة على بغداد عاصمة الخلافة العباسية، فكانت طموحات المعز الفاطمي (٣٤١-٣٦٥هـ/٩٥٢-٩٧٥م) وتطلعاته ترمي إلى ذلك وقد اعترف بذلك صراحة إلى رسول الدولة البيزنطية الذي كان يتردد عليه وهو بإفريقية[٤] فيقول:" أتذكر إذ أتيتني

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ: ج٧ ص١٦٠.

(٢) محمد العبدة: أيعيد التاريخ نفسه؟ المنتدى الإسلامي – الطبعة الثالثة ١٤١٩هـ/١٩٩٩م ص٦٤.

(٣) محمد جمال الدين سرور: النفوذ الفاطمي: في الشام والعراق: ص٨٠.

(٤) علي فيصل العامري: السياسة الخارجية للدولة الفاطمية(٣٥٨-٤٢٧هـ/٩٦٨-١٠٣٥م): رسالة ماجستير منشورة – جامعة الكوفة ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م ص٧١.

رسولاً وأنا بالمهدية، فقلت لك: لتدخلن علي وأنا بمصر مالكا لها؟ قال: نعم قال: وأنا أقول لك لتدخلن علي ببغداد وأنا خليفة"[١].

وحينما تولى العزيز بالله (٣٦٥-٣٨٦هـ/٩٧٥-٩٩٦م) الخلافة الفاطمية عمل على تقوية العلاقات مع بني بويه فأرسل إلى عضد الدولة في بغداد عام (٣٦٥هـ/٩٧٥م) برسالة أشاد فيها باخلاصه وطاعته للدولة الفاطمية[٢]، وقد قرئت هذه الرسالة في حضرة الخليفة العباسي الطائع لله (٣٦٣-٣٨١هـ/ ٩٧٤-٩٩١م) وقد كتب عضد الدولة كتابًا يعترف فيه بفضل آل البيت واعتبر العزيز الفاطمي هو سليل العترة الطاهرة ويخاطبه بعبارات التقدير والإجلال[٣].

مما سبق يتضح مدى نشاط الدعوة الفاطمية في بغداد عاصمة الخلافة العباسية ونجاحها حتى أنها استطاعت إدخال بعض كبار الدولة العباسية في دعوتهم إضافة إلى الكثير من العامة ممن تستهويهم أفكار الدعوة الفاطمية كما أن الفاطميين نجحوا في استمالة بني بويه وكسب تأييدهم وإن كانوا لم يعترفوا بسلطتهم، وقد كان هذا النشاط الفاطمي قبل اعتلاء الخليفة القادر بالله كرسي الخلافة، ومن وجهة نظري أن ضعف الخلفاء العباسيين قبل القادر جعلهم لا

(١) المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر(ت٨٤٥هـ): اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء: تحقيق/ جمال الدين الشيال – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي – الطبعة الأولى ج١ ص٢٢٦.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم: ج١٤ ص٣٦٨.

(٣) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان: ج١٧ ص٥٣١، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة: ج٤ ص١٢٥.

يستطيعون مواجهة الدعوة الفاطمية ودعاتها لا في بغداد عاصمة الخلافة ولا في غيرها.

– نشاط دعاة الفاطميين في عهد القادر بالله (٣٨١-٤٢٢هـ/ ٩٩١-١٠٣١م)

لم يدخر الفاطميون وسعًا في سبيل نشر دعوتهم في بلاد العراق حتى أنه في عام (٣٨٢هـ/ ٩٩٢م) أقيمت الدعوة الفاطمية للعزيز بالله (٣٦٥-٣٨٦هـ/ ٩٧٥-٩٩٦م) في الموصل على يد أميرها محمد بن المسيب بن رافع العقيلي[١]، وفي عهد الحاكم بأمر الله (٣٨٦-٤١١هـ/ ٩٩٦-١٠٢٠م) أرسل دعاته إلى بعض الملوك يدعوهم إلى طاعته، ومنهم نوح بن منصور

(١) هو أبو الذواد محمد بن المسيب بن رافع العقيلي من بني عامر بن صعصعة أمير بني عقيل، كان صاحب نصيبين ثم ملك الموصل وأعمالها عام(٣٨٠هـ) وأقره عليها بهاء الدولة البويهي (المستبد على الخليفة بالعراق) كما يقول ابن خلدون: وأقام سنتين وأرسل بهاء الدولة جيشًا من الديالمة لقتال أبا الذواد، وظفر الديالمة، إلا أن صراعا حدث بين قادتهم فاستمر أبو الذواد في إمارته إلى أن توفى عام(٣٨٦هـ/٩٩٦م) فملكها أخوه المقلد (ابن الأثير: الكامل: ج٧ ص٤٣٨، ٤٨٣، سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان: ج١٨ ص٤٢، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة: ج٤ ص١٦٦، ابن الوردي، عمر بن مظفر بن عمر بن محمد (ت٧٤٩هـ): تاريخ ابن الوردي: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة: الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٦م ج١ ص٢٩٩، ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد(ت ٨٠٨هـ): العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر: تحقيق/ خليل شحادة – دار الفكر – بيروت – الطبعة: الثانية ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ج٤ ص٣٢٧).

الساماني[1] (٣٦٦-٣٨٧هـ/٩٧٦-٩٩٧م) الذي رد عليه بقتل دعاته، وكذلك أرسل إلى قابوس بن وشمكير[2] الذي رد عليه ردًا سيئًا وقال:" إنى لَا أذكرك إلا على المستراح"[3] كما أرسل إلى نَاصِر الدولة أبو الْحسن مُحَمَّد بن إبراهيم بن سيمجور والي خراسان فأجابه بَأن كتب على ظهر كِتَابه إليه: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا

(١) هو نوح بن منصور بن نوح بن نصر الساماني، أبو القاسم، ويلقب بالرضى أمير من أمراء الدولة السامانية التي كانت تحكم ما وراء النهر، وُليَ بعد وفاة أبيه عام (٣٦٦هـ) وهو صبي وتعصّب له عضد الدولة ابن بويه فأخذ له من الخليفة " الطائع " العهد على خراسان والخَلع، ولم تسكن الفتن مدة ولايته إلا قليلا، وكان موفقًا في قمعها، عزيز الجانب، مطاعًا، طال عهده وتوفى في بخارى عام(٣٨٧هـ)، وخلفه ابنه أبو الحارث منصور (الذهبي: سير أعلام النبلاء: ج١٦ ص٥١٥، الزركلي، خير الدين بن محمود (ت١٣٩٦هـ): الأعلام: دار العلم للملايين – بيروت – لبنان – ط١٥-٢٠٠٢م ج٨ ص٥١، ٥٢).

(٢) شمس المعالي قابوس بن وشمكير بن زياد بن وردان الجيلي ديلمي الأصل أمير جرجان وبلاد الجبل وطبرستان، وليها عام (٣٦٦هـ) وأخرجه منها عضد الدولة البويهي عام(٣٧١هـ) ثم استعادها قابوس عام (٣٨٨هـ) واشتد في معاقبة من خذلوه في حربه مع عضد الدولة، فنفر منه شعبه، وقامت الثورة، فخلعه القواد وولوا ابنا له، وظل مقيمًا في إحدى القلاع إلى أن مات عام (٤٠٣هـ/١٠١٢م)، ودفن بظاهر جرجان (الصفدي: الوافي بالوفيات: ج٢٤ ص٧٨، الزركلي: الأعلام: ج٥ ص١٧٠).

(٣) المستراح: هو المرحاض أو بيت الكنيف أو الخلاء (المُطَرِّزِىّ، ناصر الدين بن عبد السيد بن علي (ت٦١٠هـ): المغرب في ترتيب المعرب: تحقيق/ محمود فاخوري و عبدالحميد مختار – مكتبة أسامة بن زيد – حلب – الطبعة الأولى١٩٧٩م ج١ ص٣٢٤، ج٢ ص٢٣٥، رينهارت دُوزِي (المتوفى: ١٣٠٠هـ): تكملة المعاجم العربية: ترجمة/ محمَّد سَلِيم النعَيمي – وزارة الثقافة والإعلام – الجمهورية العراقية – الطبعة الأولى ١٩٧٩-٢٠٠٠م ج٢ ص٢٥٣، ج٤ ص٤٨).

ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾ ﴾[1].

ولكن هذه الدعوة لقيت استجابة من بعض أمراء خوارزم[2] وغيرهم في هذه المنطقة[3].

وإذا كانت الدعوة الفاطمية قد لقيت نجاحًا محدودًا في صفوف الأمراء في منطقة ما وراء النهر وخراسان، فإننا نتوقع لها نجاحًا عريضًا على المستوى الشعبي في هذه المنطقة، وفي غيرها من المناطق وخاصة في فارس والعراق فقد كانتا أكثر قبولًا لهذه الدعوة نظرًا لرسوخ قدم التشيع فيهما، إضافة إلى الأسلوب الذي كان يسلكة دعاة الفاطميين، فقد كانوا يركزون على ما يعانيه الناس من ظلم وحرمان، وكانوا يُمَنُون الناس بأن أئمتهم سيملئون الأرض عدلًا كما ملئت جورًا، وأنهم ما قاموا بتأسيس دولتهم إلا لخير الإنسانية ورفاهية المحرومين، وهذه الدعاوى بلا شك ستجد لها أعوانًا طالما كان هناك ظالم ومظلوم، وأغنياء وفقراء، ولذلك "فقد اعتنق الكثير مذهب الاسماعيلية لا

(١) سورة الكافرون: ١-٦.

(٢) لم يرد في المصادر أسماء هؤلاء الأمراء ولا أماكن حكمهم.

(٣) عبد القاهر البغدادي، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد (ت٤٢٩هـ): الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية: دار الآفاق الجديدة – بيروت – الطبعة الثانية١٩٧٧م ص٢٧٦، عبد العزيز بن محمد بن علي: تشيع لا قادر له: المنتدي الاسلامي – مجلة البيان – العدد ٢٦١ لعام ٢٠٠٩ ص٩٣.

إعجابًا بالعقيدة وإنما لأملهم في أن يحكم الأئمة بلادهم فيسود فيها العدل والسلام"[١].

وفي عام (٤٠١هـ/١٠١٠م) أعلن صاحب الموصل قرواش بن المقلد طاعة الحاكم بأمر الله الفاطمي، وخطب له في الموصل وما يتبعها من البلاد كالأنبار والمدائن والكوفة[٢] بعد أن استماله الحاكم وبعث إليه بالأموال والهدايا[٣].

وفي عام (٤٠٣هـ/١٠١٢م) أنشأ البويهيون نقابة للشيعة، وقد تقلد أمر هذه النقابة الشريف الرضي، وقرئ تقليده نقيبًا للطالبيين في سائر الممالك وخلع عليه السواد (شعار العباسيين) "وهو أول علوي خلع عليه السواد"[٤]. السواد"[٤].

ونسب إلى الشريف الرضي قصيدة تطلع فيها إلى الفاطميين حيث تمنى أن يكون عند الحاكم الفاطمي ومما جاء فيها:

---

(١) أبو حامد الغزالي، محمد بن محمد (ت ٥٠٥هـ): فضائح الباطنية: تحقيق/ عبد الرحمن بدوي – مؤسسة دار الكتب الثقافية – الكويت ص٣٣-٣٦، عبد المجيد بدوي: التاريخ السياسي والفكري: ص٧١.

(٢) ابن الأثير: الكامل: ج٧ ص٥٧٢.

(٣) ابن الجوزي: المنتظم: ج١٥ ص٧٤، ابن العبري، غريغوريوس يوحنا ابن هارون (ت٦٨٥هـ): تاريخ مختصر الدول: تحقيق/ أنطون صالحاني – دار الشرق – بيروت – الطبعة الثالثة ١٩٩٢م ص١٧٨، المقريزي: اتعاظ الحنفا: تحقيق/ محمد حلمي محمد أحمد ج٢ ص١٢٣.

(٤) ابن الجوزي: المنتظم: ج١٥ ص٨٩، ابن الأثير: الكامل: ج٧ ص٥٩١، ابن كثير: البداية والنهاية: ج١١ ص٤٠٠.

ما مقامي على الهوان وعندي مِقْوَلٌ صَارِمٌ وَأُنْفٌ حَمِيُّ

وإباءٌ محلّق بي عن الضيم كما راغ طائر وحشيّ

أيُّ عُذْرٍ لَهُ إلى المَجْدِ إنْ ذُلّ غُلامٌ في غِمدِهِ المَشْرَفِيّ

ألبس الذلّ في ديار الأعادي وبمصر الخليفة العلويّ

مَنْ أُبوهُ أبي وَمَوْلاهُ مَوْلايَ إذا ضامني البعيد القصيّ

لفّ عرقي بعرقه سيد الناس جَمِيعًا مُحَمّدٌ وَعَلِيّ(١)

ولا شك أن هذه الأبيات أزعجت الخليفة القادر بالله لأن الشريف الرضي لم يكن شخصًا عاديًا وإنما عالمًا له ثقله ووزنه، إضافة إلى أنه كان نقيب الطالبيين في ذلك الوقت.

ويرى البعض أن الشريف الرضي كان يتطلع إلى الخلافة، وكان دائمًا يرى نفسه أحق بها من غيره، على الرغم من المناصب المرموقة التي شغلها، والألقاب العديدة التي حازها، فإنها لم تكن هدفه وحلمه، بل كان يسعى إلى المرتبة التي لا يعلوها مقام وهي الخلافة، ويؤكد ذلك أشعار الرضي التي جاءت في ديوانه ومنها:

(١) ابن الأثير: الكامل: ج٦ ص٥٧٨، ابن الوردي: تاريخه: ج١ ص٢٤٢، المقريزي: اتعاظ الحنفا: ج١ ص٣٥.

لو كنت أقنع بالنقابة وحدها لغضضت حين بلغتها آمالي

لكن لي نفس تتوق إلى التي ما بعد أعلاها مقام عال (١)

قال صاحب الدرجات الرفيعة: "وكان الرضي لعلو همته وشرف نسبه تنازعه نفسه إلى الخلافة، وكان ربما يحبس بذلك خاطره وينظمه في شعره ولا يجد من الدهر عليها مساعدة فيذوب كمدًا ويفنى وجدًا حتى توفى ولم يبلغ غرضًا[٢] ومن شعره أيضا الدال على ذلك:

ما أنا للعليا إن لم يكن من ولدى ما كان من والدي

وما مشت بي الخيل إن لم أطأ سرير هذا الأغلب الماجد

فإن أنلها فكما رمته أو لا فقد يكذبني رائدي

والغاية الموت، فما فكرتي أسائقي أصبح أم قائدي(٣)

وديوان الرضي حافل بالشواهد من الأبيات الشعرية التي تفصح عن رغبته الشديدة بالخلافة، وافتخاره بحسبه ونسبه، حتى أنه توهم بأنه أمير

(١) الشريف الرضي، أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى(ت٤٠٦هـ): ديوان الشريف الرضي: تحقيق/ محمود مصطفى حلاوي: دار الأرقم – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٩م ج٢ ص١٦٠.

(٢) السيد على خان المدنى: الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة: تحقيق/ السيد محمد صادق – منشورات مكتبة بصيرتي – قم – إيران – ١٣٩٧م

(٣) الشريف الرضي: ديوانه: ج١ ٣٩٨.

المؤمنين يجلس على عرش الخلافة، أي أن أمير المؤمنين هو محمد الرضي وأمه فاطمة وجده علي، وقال مخاطبًا الخليفة القادر بالله:

هـذا أمـير المـؤمنين محمـد كرمـت مغارسـه وطـاب المولـد

أو مـا كفـاك بـأن أمـك فـاطم وأبـوك حـيدرة وجـدك أحـمد

يمسي، ومنزل ضيفه لا يحتوى كرمًا، وبيت نضاره لا يقلد(١)

ويبدو أن الرضي لم يتوقف عن تطلعاته لمنصب الخلافة، وعن محاولة الغض من شأن القادر وإبراز علو مكانته، فاستمر في إظهار ما يتمناه بالأشعار، وكانت هذه الأشعار تصل إلى مسامع الخليفة، فقد أشار الصفدي: "إن الرضي حضر يومًا مجلس القادر، فجعل يعبث بلحيته ويرفعها إلى أنفه، فقال له الخليفة: أظنك تشم رائحة الخلافة؟ فقال: لا والله رائحة النبوة"(٢)، فاهتز القادر لهذا الجواب وكأنه يشير إلى أن جده الرسول ﷺ، وأنه أكثر رفعة وأقرب إلى منصب الخلافة منه.

وفي قصيدة أخرى نجد الرضي يمدح الخليفة القادر بالله، ثم نجده ينافسه على الخلافة متباهيًا متفاخرًا بأنه مع القادر على درجة واحدة من العلياء، مبينًا أن الطالبيين والعباسيين ينحدرون من دوحة واحدة، ولا يفرق العباسيين سوى إنهم في مركز الخلافة، فالرضي لا يملكها والقادر مطوق بها فقال:

---

(١) الشريف الرضي: المصدر نفسه: ج١ ص٤٤٧.

(٢) الصفدي: الوافي بالوفيات: ج٢ ص٢٧٨.

عطفًا، أمير المؤمنين، فإننا في دوحة العلياء لا نتفرق

ما بيننا، يوم الفخار، تفاوت أبدًا كلانا في المعالي معرق

إلا الخلافة ميزتك فإنني أنا عاطل منها وأنت مطوق(١)

وعندما سمع القادر هذه الأبيات، التفت إليه وقال: "على رغم أنف الشريف"(٢).

ولعل هذه العبارة التي أجاب بها القادر على أبيات الشعر للرضي، قد عمقت الخلاف والجفوة بين الطرفين ولو إلى حين.

وفي واقع الأمر فقد كان القادر بالله متخوفًا من الشريف الرضي وتطلعاته نحو الخلافة، وكانت العلاقة بينهما يتخللها التكلف والمجاملة من جهة، والطموح السياسي وتطلعه للوصول إلى الخلافة من جهة أخرى، ومما لا شك فيه أيضًا أن ما قام به الرضي من تهديده بالذهاب إلى مصر، بمثابة الهزة القوية لأركان الخلافة ببغداد، لا سيما وأن الدعاة الفاطميين قد انتشروا في جميع أنحاء البلاد، كما كان الخليفة يخشى أيضًا الالتقاء الشيعي البويهي والفاطمي، وكذلك تحركات الشيعة في بغداد.

وأمام ذلك كله كان من الطبيعي أن يقض نشاط دعاة الفاطميين مضجع الخليفة القادر بالله، فقد ظلوا يقطعون بلاد الخلافة العباسية جيئة وذهابًا محققين الكثير من النجاح، يضاف إلى ذلك أنه خلال تلك الفترة ظهرت

(١) الشريف الرضي: ديوانه: ج٢ ص٣٨.

(٢) الصفدي: الوافي بالوفيات: ج٢ ص٢٧٨.

جماعة سرية تعرف بجماعة إخوان الصفا[1] ولم تكن الخلافة العباسية تدرى عنها شيئًا سوى رسائلها التي كانت تسري في أنحاء الدولة داعية الناس إلى إسقاط دولة الباطل، ولم يكن العهد قد بعد كثيرًا بالقرامطة الذين أقضوا

(١) إخوان الصفا وخلان الوفا هم جماعة سرِّية من الفلاسفة ظهرت في مدينة البصرة عام(٣٧٤هـ/ ٩٨٣م) وكان سبب قيامها كما يقول ول ديورانت: "أن هؤلاء الإخوان روعهم ما شاهدوه من ضعف الخلافة الإسلامية وفقر شعوبها، وفساد أخلاقهم؛ فتاقت نفوسهم إلى تجديد الإسلام من النواحي الأخلاقية، والروحية، والسياسية وخيل إليهم أن هذا التجديد إنما يقوم على مزيج من الفلسفة اليونانية والمسيحية، والتصوف الإسلامي، وآراء الشيعة السياسية، والشريعة الإسلامية"، ويقال إن جماعة إخوان الصفا انبثقت من الفكر الإسماعيلي، وتحديدًا في البصرة لكن الأرجح هو أن الإسماعيليين قد تبنو فكر هذه المجموعة، وقد كانت اهتمامات هذه الجماعة كانت متنوعة وامتدت من العلم والرياضيات إلى الفلك والسياسة، فقاموا بكتابة فلسفتهم عن طريق ٥١ رسالة مشهورة ذاع صيتها (وِل ديورَانت: قصة الحضارة: ترجمة/ زكي نجيب محمُود وآخرين: دار الجيل – بيروت – لبنان، المنظمة العربية – تونس ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م ج١٣ ص٢٠٦) والثابت أن إخوان الصفاء ظهروا، كما يذكر ابن طباطبا حين " اضطربت أحوال الخلافة، ولم يبق لها رونق ولا وزارة تملَّك البويهيون، وصارت الوزارة من جهتهم والأعمال إليهم"(الفخري في الآداب السلطانية: ص٢٧٩) كانت كتابات إخوان الصفا ولا تزال مصدر خلاف بين علماء الإسلام والتساؤل حول الانتماء المذهبي للجماعة فالبعض اعتبرهم من أتباع المدرسة المعتزلية والبعض الآخر اعتبرهم من نتاج المدرسة الباطنية وذهب البعض الثالث إلى وصفهم بالإلحاد والزندقة (أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس (ت نحو ٤٠٠هـ): الإمتاع والمؤانسة: المكتبة العنصرية – بيروت – الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ ص١٦٤، ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم (ت٧٢٨هـ): مجموع الفتاوى: تحقيق/ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم: مجمع الملك فهد – المدينة النبوية – المملكة العربية السعودية –١٤١٦هـ/١٩٩٥م ج٤ ص٣١٤).

مضجع الخلافة حتى أنهم في عام(٣٧٥هـ/٩٨٥م) استولوا على الكوفة فأثاروا الرعب والفزع في قلوب الناس ثم تخلوا عنها[١]

وفى ظل هذه الظروف والتي تمثلت في نشاط دعاة الفاطميين في بلدان الخلافة العباسية، وما ترتب عليه من ازدياد نفوذ هذا المذهب، وفى تطلع الشيعة الإمامية إلى الفاطميين في مصر، ثم تحرك الجمعيات السرية الشيعية، ثم خطبة أمير الموصل قرواش بن المقلد للحاكم بأمر الله، لم يعد بإمكان الخليفة القادر بالله أن يصبر طويلًا على هذا الحال، ولم يعد أمامه إلا أن يستغل نفوذه الروحي ويسلك هذه السياسة الدينية والتي تمثلت في الآتي:

١- في عام (٣٨٢هـ) أقيمت الدعوة الفاطمية للعزيز بالله (٣٦٥-٣٨٦هـ/ ٩٧٥-٩٩٦م) في الموصل على يد أميرها أبي الذواد محمد بن المسيب بن رافع العقيلي فتدخل الخليفة القادر وأرسل بهاء الدولة البويهي جيشاً من الديالمة لقتال أبي الذواد، وظفر الديالمة، إلا أن صراعًا حدث بين قادتهم فاستمر أبو الذواد في إمارته إلى أن توفى عام(٣٨٦هـ/٩٩٦م) فملّكها الخليفة القادر بالله لأخيه المقلد وعادت الخطبة إلى العباسيين مرة أخرى[٢].

وفي عام (٤٠١هـ/١٠١٠م) أعلن صاحب الموصل قرواش بن المقلد طاعة الحاكم بأمر الله الفاطمي وخطب له يقول ابن تغري بردي عن إقامة الخطبة يوم الجمعة رابع المحرم عام (٤٠١ه): خلع عليه قباء دبيقيّا وعمامة

(١) ابن الأثير: الكامل: ج٧ ص٤٠٩، عبد المجيد بدوي: التاريخ السياسي والفكري: ص٧٢.

(٢) ابن الأثير: الكامل: ج٧ ص٤٣٨، ٤٨٣.

صفراء وسراويل ديباج أحمر وخفين أحمرين، وقلّده سيفا، وأعطاه نسخة ما يخطب به وهذا بعض ما ورد فيها:" اللهمّ وصلّ على وليّك الأزهر، وصديقك الأكبر؛ عليّ بن أبى طالب أبى الخلفاء الراشدين المهديّين. اللهمّ وصلّ على السّبطين الطاهرين الحسن والحسين؛ وعلى الأئمة الأبرار، والصفوة الأخيار؛ من أقام منهم وظهر، ومن خاف فاستتر. اللهمّ وصلّ على الإمام المهدىّ بك، والذي بلّغ بأمرك، وأظهر حجّتك؛ ونهض بالعدل في بلادك، هاديًا لعبادك. اللهمّ وصلّ على القائم بأمرك، والمنصور بنصرك، اللذين بذلا نفوسهما في رضائك، وجاهدا أعداءك. اللهمّ وصلّ على المعزّ لدينك، المجاهد في سبيلك؛ المظهر للآيات الخفيّه، والحجج الجلية. اللهمّ وصلّ على العزيز بك الذي مهّدت به البلاد، وهديت به العباد. اللهمّ واجعل نوامى صلواتك، وزواكى بركاتك؛ على سيّدنا ومولانا إمام الزمان، وحصن الإيمان؛ وصاحب الدعوة العلويّه، والملّة النبويه؛ عبدك ووليّك المنصور أبى علىّ الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين؛ كما صلّيت على آبائه الراشدين، وأكرمت أجداده المهديّين. اللهمّ وفّقنا لطاعته، واجمعنا على كلمته ودعوته؛ واحشرنا في حزبه وزمرته. اللهمّ وأعنه على ما ولّيته، واحفظه فيما استرعيته، وبارك له فيما آتيته؛ وانصر جيوشه وأعل أعلامه في مشارق الأرض ومغاربها؛ إنك على كل شيء قدير"[1].

(١) النجوم الزاهرة: ج٤ ص٢٢٦ــ ٢٢٧.

كان لذلك أسوأ الأثر على الخليفة القادر بالله الذي انزعج لهذا الأمر، فأرسل إلى عميد الجيوش لكي يتجهز لمحاربته، وعلى الرغم من علم القادر بالله بميل بهاء الدولة البويهي إلى الحاكم الفاطمي وتأييده له، إلا أنه أنفد إليه أبي بكر الباقلاني[١] فرد عليه بقوله:" فقال: والله إن عندنا من هذا الأمر أكثر مما عند أمير المؤمنين، لأن الفساد علينا به أكثر وقد كاتبنا أبا على (عميد الجيوش) وتقدمنا بإطلاق مائة ألف دينار يستعين بها على نفقات العسكر، وإن دعت الحاجة إلى مسيرنا كنا أول طالع على أمير المؤمنين"[٢].

فلما علم قرواش بمسير عميد الجيوش إليه أرسل يعتذر، وأعاد الخطبة للخليفة العباسي[٣].

أما عن الشريف الرضي الذي تطلع إلى الفاطميين في قوله:

ما مقامي على الهوان وعندي مِقْوَلٌ صَارِمٌ وَأُنْفٌ حَمِيُّ

ألبس الذلّ في ديار الأعادي وبمصر الخليفة العلويّ

(١) القاضي أبو بكر الباقلاني هو: محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم القاضي أبو بكر الباقلاني البصري، الملقب بشيخ السنة، ولسان الأمة، المتكلم على مذهب أهل السنة والجماعة، وأهل الحديث، ويُعد من أكابر أئمة الأشاعرة بعد مؤسسها أبي الحسن الأشعري سكن بَغْدَاد وتوفى عام (٤٠٣ه)(الصفدي: الوافي بالوفيات: ج٣ ص١٤٧).

(٢) ابن الجوزي: المنتظم: ج١٥ ص٧٧.

(٣) ابن الجوزي: المصدر نفسه: ج١٥ ص٧٧، ابن الأثير: الكامل: ج٧ ص٥٧٢، الذهبي: تاريخ الإسلام: ج٢٨ ص٧.

فإن الخليفة انزعج لهذا الأمر وعقد مجلسًا ودعا إليه والد الشريف الرضي وشقيقه المرتضى وجماعة من القضاة والفقهاء، وأبرز إليهم تلك الأبيات، ويذكر المقريزي أن حاجب الخليفة القادر بالله قال لأبي أحمد الموسوي: قل لولدك محمد: أي هوان قد أقام فيه عندنا؟ وأي ضيم لقي من جهتنا؟ وأي ذلك أصابه في مملكتنا؟ وما الذي يعمل معه صاحب مصر لو مضى إليه؟ أكان يصنع إليه أكثر من صنيعنا؟ ألم نوله النقابة؟ ألم نوله المظالم؟ ألم نستخلفه على الحرمين والحجاز وجعلناه أمير الحجيج؟ فهل كان يحصل له من صاحب مصر أكثر من هذا؟ ما نظنه كان يكون لو حصل عنده إلا واحدًا من أبناء الطالبيين بمصر، فقال أبو أحمد الموسوي: أما هذا الشعر فمما لم نسمعه منه، ولا رأيناه بخطه، ولا يبعد أن يكون بعض أعدائه نحله إياه، وعزاه إليه"(١).

ولما سأل أبو أحمد الموسوي ابنه الشريف الرضي عن هذه الأبيات أنكرها، ولكن تكذيبه لا يكفي عند ابن كثير الذي يقول:" والروافض من شأنهم التزوير"(٢).

فطلب منه والده أن يعتذر للقادر بالله بخطه ويكتب في الاعتذار أن نسب الحاكم الفاطمي مدخول وأنه مدع في نسبه، فلم يفعل وقال: أخاف دعاة المصريين وغلبتهم، فإنهم معروفون بذلك، فقال أبوه: يا عجبا! أتخاف من

(١) المقريزي: اتعاظ الحنفا: ج١ ص٣٢، ٣٣.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية: ج١٢ ص٥.

بينك وبينه ستمائة فرسخ، ولا تخاف من بينك وبينه مائة ذراع؟ وحلف أن لا يكلمه، وكذلك المرتضى، فعلا ذلك تقية وخوفًا من القادر، وتسكينا له(١).

فلما انتهى الأمر إلى القادر بالله اكتفى بأن أرسل الشيخ أبي حامد الاسفراييني والقاضي أبي بكر إلى الشريف الرضي وأبيه فحلفهما بالأيمان المؤكدة أن مثل ذلك لم يحدث(٢).

ويذكر المقريزي: أن الخليفة القادر بالله لما علم بذلك سكت على سوء أضمره للشريف الرضي، وبعد ذلك بأيام صرفه عن النقابة، وولاها غيره(٣).

إن دل ذلك على شيء فإنما يدل على قوة القادر بالله في ذلك الوقت، الذي لم يعد يخشى العلويين ولا البويهيين.

أما عن نشاط دعاة الفاطميين في بلدان الخلافة العباسية وتطلع الشيعة الإمامية إلى الفاطميين في مصر فلم يعد بمقدور الخليفة السكوت على ذلك، وليس بإمكانه القيام بأي نشاط عسكري ضد الخلافة الفاطمية أو ضد دعاتها، فلعل سلطانه في هذه الفترة لم يكن من القوة بمكان حتى يتخذ هذه الخطوة، فلم يعد أمامه إلا أن يستغل نفوذه الروحي ويشن حربًا دعائية ضد الفاطميين تتمثل في الطعن في عقيدتهم ونسبهم(٤).

---

(١) المقريزي: اتعاظ الحنفا: ج١ ص٣٣.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية: ج١٢ ص٥.

(٣) المقريزي: اتعاظ الحنفا: ج١ ص٣٣.

(٤) عبد المجيد بدوي: التاريخ السياسي والفكري: ص٧٣.

ففي عام(٤٠٢هـ/١٠١١م) جمع وجوه الشيعة في بغداد، وعلى رأسهم الشريف الرضي، وقضاة وعلماء أهل السنة، وغيرهم وقدم إليهم محضرًا وقعوا عليه يتضمن تكذيب الفاطميين في ادعائهم الانتساب إلى علي بن أبي طالب(رضى الله عنه)، "وأنهم أعوان الكافرين، وأن هذا الناجم بمصر منصور بن نزار الملقب بالحاكم وسلفه كفار فساق لمذهب الثنوية والمجوسية[١] معتقدون، قد عطلوا الحدود، وأباحوا الفروج، وأحلوا الخمور وسفكوا الدماء، وسبوا الأنبياء، ولعنوا السلف، وادعوا الربوبية"[٢]، وقد وقع على هذا المحضر خلق كثير[٣].

---

(١) مذهب الثنوية والمجوسية: سُمِّي أصحاب هذه الديانة الثنوية لأنهم قالوا بإلهين اثنين: النور والظلمة، أو الخير والشر، في مقابل أهل التوحيد الذين يعبدون إلهًا واحدًا، ومقابل أهل التثليث والذين يعبدون أكثر من ذلك، وتشعبت بأهل التثنية الطرق وانقسموا إلى فرق متعددة وفصائل مختلفة، ولكنهم مع ذلك متفقون في القول بالثنائية (الماتريدي، أبو منصور محمد بن محمد (ت٣٣٣هـ): التوحيد: تحقيق/ فتح الله خليف – دار الجامعات المصرية – الإسكندرية – ص٢٣٥، غالب بن علي عواجي: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها: المكتبة العصرية – جدة – الطبعة الرابعة ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م ج٣: ص١١٦٧).

(٢) ابن الجوزي: المنتظم:ج١٥: ص٨٢-٨٣، ابن الأثير:الكامل:ج٩: ص٢٣٦.

(٣) كان الموقعون على هذا المحضر كالآتي: من العلويين الشريف المرتضى، وابن الأزرق الموسوي، وأبو طاهر بن أبي الطيب، ومحمد بن محمد بن عمر، وابن أبي يعلى، ومن القضاة: أبو محمد ابن الأكفاني، وأبو القاسم الخرزي، وأبو العباس السوري، ومن الفقهاء: أبو حامد الإسفرائيني، وأبو محمد الكشفلي، وأبو الحسين القدوري، وأبو عبد الله الصيمري، وأبو عبد الله البيضاوي، وأبو على بن حمكان، ومن الشهداء: أبو القاسم التنوخي، وقرئ بالبصرة وكتب فيه خلق كثير (ابن الجوزي: المصدر نفسه: ج١٥ ص٨٣، ابن كثير: البداية والنهاية: ج١١ ص٣٩٧، ٣٩٨).

لكن ما الذي جعل الخليفة القادر بالله يطعن في نسب الفاطميين، هل كانت هناك أمورًا شجعته على اتباع هذه السياسة؟ وهل كان هناك آثارًا لهذا المحضر؟

وللإجابة على الشق الأول من هذا التساؤل يمكن القول بأن هناك عدة أمور ساعدته على ذلك منها:

١- سلوك الفاطميين تجاه أئمتهم في دور الستر، وذلك أن مؤرخي الإسماعيلية لم يستطيعوا أن يقدموا صورة صحيحة عن أئمتهم منذ وفاة جعفر الصادق في عام (١٤٧هـ/إلى عام ٢٩٦هـ) وهو العام الذي ظهر فيه عبيد الله المهدي بالمغرب، ويصف الدكتور/ محمد كامل حسين: هذه الفترة بأنها غامضة أشد الغموض حتى إن مؤرخي الإسماعيلية تحدثوا عنها رمزًا دون تصريح بسبب التقية التي اتخذوها مذهبًا من مذاهبهم "وكان سكوت مؤرخي وكتاب الإسماعيلية في دور الظهور الأول عن ذكر أئمة دور الستر من العوامل التي أعطت أعدائهم سلاحًا ماضيًا يشهرونه ضدهم، وهو الطعن في نسبهم والقول بأنهم أدعياء النسب"(١).

(١) محمد كامل حسين: طائفة الإسماعيلية تاريخها – نظمها – عقائدها: دار النهضة المصرية – القاهرة – ط١ ١٩٥٩م: ص ١٩، ٢٠، ٢٦، بدوي: التاريخ السياسي والفكري: ص٧٣.

٢- كان الخليفة الفاطمي الذي كان معاصرًا للقادر هو الحاكم بأمر الله قد وجدت الخلافة العباسية في سياسته المتقلبة في بعض الأحيان وتجاه بعض المواقف ما يصلح مادة غزيرة لأمثال هذه المطاعن(١).

٣- كان الخليفة العباسي محاط بجو فكري معادي للإسماعيلية شجعه على المضي في هذا السبيل إذ وجدت مؤلفات تناهض هذه الطائفة(٢).

وللإجابة على الشق الآخر يمكن القول بأن محضر الطعن في نسب الفاطميين كان له عدة آثار في بغداد عاصمة الخلافة وعلى الفاطميين في مصر.

ففي بغداد:

كان له أثره في سلوك الشيعة في بغداد إذ بدا في سلوكهم نوع من التحفظ المؤقت في ممارسة شعائرهم ففي العام ذاته (٤٠٢هـ/١٠١١م) احتفلوا بيوم الغدير في هدوء وسكينة(٣).

---

(١) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة: ج٤: ص١٧٦، محمد عبد الله عنان: الحاكم بأمر الله: مكتبة الخانجي - القاهرة - دار الرفاعي - الرياض ط٣- ١٤٠٤هـ /١٩٨٣م - ص٥٦، بدوي: التاريخ السياسي والفكري: ص٧٣.

(٢) كان أبو بكر الباقلاني إمام الأشعريين في هذه الحقبة ألف كتاب كشف الأسرار وهتك الأستار في الرد على الباطنية، كما كتب القاضي أبو الحسن على بن سعيد الإصطخري ردًا على الباطنية أهداه للخليفة القادر، وفي الوقت نفسه ألف إسماعيل بن أحمد البستي كتاب (كشف أسرار الباطنية) وسواء كتبت هذه المؤلفات بتوجيه من القادر أم بدوافع ذاتية باعثها اختلاف العقيدة فإنها من شأنها أن تساعد القادر في حملته على الفاطميين (الغزالي: فضائح الباطنية: مقدمة التحقيق للدكتور عبد الرحمن بدوى صفحة: ب، عبد المجيد بدوي: التاريخ السياسي والفكري: ص٧٤)

(٣) الذهبي: العبر: ج٣: ص٧٨.

أما عن آثاره على الفاطميين في مصر:

فإنه لما بلغ الحاكم بأمر الله ذلك قامت قيامته وهان فى أعين الناس لكتابة هؤلاء العلماء الأعلام في المحضر(١).

كما كان لصدوره وقع سيء، فقد قام الحاكم بأمر الله في العام التالي (٤٠٣هـ/١٠١٢م) بالتشدد في منع الناس من سب السلف حيث كانت تصرفات الحاكم متقلبة، ومن الصعب تعليقها وإرجاعها لسبب محدد، ففي عام (٣٩٧هـ/ ١٠٠٦م) قبل كتابة محضر الطعن أمر بإزالة لعن السلف من على جدران المساجد والبيوت لكنه في هذه المرة بالغ في تنفيذ أمره، حتى أنه أمر بضرب رجل سب السلف وشهر به في المدينة ونودى عليه هذا جزاء من سب أبا بكر وعمر – رضي الله عنهما – فلا شك أنه أراد بذلك أن يمحو بعض الآثار السيئة التي أحدثها محضر الطعن في بغداد(٢).

وتنفيذاً للسياسة الدينية للخليفة القادر بالله فقد قام السلطان محمود الغزنوي بالقضاء على دولة الشيعية الإسماعيلية التي كانت قد قامت في الملتان (ببلاد السند) عام (٣٧٠هـ/٩٨٠م) فتم القضاء عليها عام(٤٠١هـ/١٠١٠م).

وتخفيفاً للضغط المتوالي من الخليفة القادر بالله والسلطان محمود الغزنوي على الفاطميين في مصر وفي الملتان ببلاد السند قام الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله بمراسلة السلطان محمود الغزنوي عام (٤٠٣هـ/١٠١٢م) بعد أن

(١) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة: ج٤ ص٢٣١.

(٢) بدوي: التاريخ السياسي والفكري: ص٧٥.

قضى على دولة الشيعة الإسماعيلية في بلاد السند يدعوه إلى طاعته، وليس هناك ما يمنع من أن الحاكم أراد من ذلك إظهار سلوكه المعتدل نحو السلف على أن يحوز ثقة السلطان الغزنوي السني، ولكن السلطان الغزنوي استقبل كتاب الحاكم بالسخط والسخرية وأرسله ممزقًا إلى الخليفة القادر بالله(١).

ونتيجة لموقف السلطان محمود الغزنوي في التنكيل بأعداء الخلافة السنية توثقت صلته بالقادر بالله ففي العام التالي (٤٠٤هـ /١٠١٣م) فتح السلطان محمود الغزنوي أجزاء من بلاد الهند وأرسل إلى الخليفة يطلب منه عهدًا بخراسان، وما بيده من الممالك فكتب له بذلك ولقبه يمينَ الدولة وأمينَ الملة(٢).

ولاشك في أن هذا قد عضد موقف القادر بالله من الشيعة وأعطاه دفعه جديدة لملاحقتهم بمطاردة الشيعة في العراق في وقت كانت فيه عواطفهم متجهة نحو الفاطميين بمصر.

وفي عام (٤١٦هـ/١٠٢٥م) قضى السلطان محمود الغزنوي على الحكم الفاطمي في المنصورة ببلاد السند، فبعد القضاء على حكومتهم في الملتان هرب الشيعة منها إلى المنصورة وانضموا إلى العلويين الذي كانوا قد استقروا بأعداد كبيرة في المنصورة في فترة حكم الهباريين(٣)، وحصلوا على نفوذ

(١) ابن الجوزي: المنتظم: ٩٢/١٥ .

(٢) اليميني: تاريخ العتبي: ص٨، ابن الأثير: الكامل: ج٩: ص٢٤٤.

(٣) الهباريون نسبة إلى عمر بن عبد العزيز الهبّاري القرشي الذي يمتد نسبه إلى الصحابي الجليل (هبّار بن الأسود) واستطاع عمر بن عبد العزيز الهباري من إقامة=

كبير بالمدينة، وبذلك أصبحت المنصورة هي محور النشاط الشيعي، ووجهوا كل تأثيرهم لتحويل الحاكم الهباري إلى المذهب الإسماعيلى، فكان الهباريون كذلك في خطر من غزو السلطان الغزنوي مثلهم مثل الإسماعيلية، ويذكر أحد الباحثين: أنه من الممكن أن يكون أخر حاكم من الأسرة الهبارية قد تحول إلى المذهب الإسماعيلي حوالي عام(٤٠١هـ/١٠١٠م) وجعل الإسماعيلية هي المذهب الرسمي للدولة لكن سرعان ما أطيح بهذا الحاكم الاسماعيلى أيضًا الذي ربما كان اسمه خفيف على يد السلطان محمود الغزنوي الذي غزا المنصورة عام (٤١٦هـ/ ١٠٢٥م)[١].

وقد كتب ابن الأثير عن حاله بلاد السند عام (٤١٦هـ/١٠٢٥م)، وذكر أن حاكم المنصورة عاصمة السند قد ارتد، وأن السلطان محمود الغزنوي

=الدولة الهبارية مستغلا الصراع القبلي بين النزارية واليمانية في بلاد السند لصالحه، وانتزع الحكم في هذا البلاد سنة (٢٤٠هـ/٨٥٤م)، واعترف به الخليفة العباسي المتوكل(٢٣٢- ٢٤٧هـ/ ٨٤٦-٨٦١م) واتخذ المنصورة عاصمة له، وتوارث أبناءه الحكم بعده حتى سقطت في يد السلطان محمود الغزنوي عام(٤١٦هـ/١٠٢٥م) والمنصورة هي عاصمة بلاد السند، بناها عمرو بن محمد بن القاسم، في حدود عام(١٢١هـ/٧٣٨ م) في خلافة هشام بن عبد الملك (البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت٢٧٩هـ) فتوح البلدان: دار ومكتبة الهلال – بيروت ١٩٨٨م ص٤٢٨، ابن خلدون: العبر: ج٢ ص٣٩١) .

(١) فرهاد دفتري: الاسماعيليون تاريخهم وعقائدهم: ترجمة/ سيف الدين القصير – دار الساقي – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ٢٠١٢م ص٢٩٦.

سار إليه فأحاط به وبمن معه، فقتل أكثرهم، وغرق منهم كثير، ولم ينج منهم إلا القليل[١].

وبعد القضاء على الشيعة في المنصورة ببلاد السند قام الفاطميون بمحاولة أخرى لاستمالة السلطان محمود الغزنوي إلى جانبهم إذ أرسل له الخليفة الفاطمي الظاهر لاعزاز دين الله (٤١١- ٤٢٧هـ/١٠٢٠-١٠٣٥م) عام (٤١٦هـ/١٠٢٥م) خُلعًا، إلا أن السلطان محمود الغزنوي أرسلها إلى الخليفة العباسي القادر بالله مؤكدًا له أنه سيظل الخادم الذي يرى طاعة الخليفة فرضًا عليه ويذكر إرسال هذه الخلع إليه، وأنه سيرها إلى الديوان ليرسم فيها بما يرى، فأحرقت، وأخرج منها ذهب كثير تصدق به على ضعفاء بني هاشم[٢].

كان ذلك الولاء والطاعة قد جعل الخليفة القادر بالله يفكر بدعوة السلطان محمود الغزنوي للمسير إلى بغداد والقضاء على ما تبقى للبويهيين من نفوذ غير أن وفاة السلطان محمود عام(٤٢١هـ/١٠٣٠م) حالت دون تلبية هذه الدعوة كما حال دون تحقيقها في عهد السلطان مسعود الغزنوي وفاة الخليفة القادر بالله عام (٤٢٢هـ/ ١٠٣١م) وتطور الأحداث التاريخية في السنوات التالية في منطقة ما وراء النهر وخراسان هذا التطور لم يكن في صالح الغزنويين وإنما كان في صالح قوة سنية جديدة ورثت معظم أملاك الغزنونيين

(١) الكامل: ج٧: ص٦٨٧.

(٢) ابن الأثير: الكامل: ج٧: ص٦٩١.

هذه القوة هي قوة السلاجقة التي أنهت الوجود البويهي وسيطرت على مقاليد الأمور في بغداد عام (٤٤٧هـ/ ١٠٥٥م)[١].

رابعًا: المواجهة الفكرية:

لم يكتف الخليفة العباسي القادر بالله بمواجهة المخالفين لمذهب أهل السنة والجماعة بمواقفه المشهودة مع البويهيين واستتابة المعتزلة وسائر الفرق والطعن في نسب الفاطميين داخليًا وتعقبهم خارجيًا عن طريق السلطان محمود الغزنوي، وإنما واجههم فكريًا أيضًا ويتمثل ذلك في الآتي:

١- تأليف الكتب المناهضة للمذاهب المنحرفة.

طلب الخليفة القادر بالله من علماء أهل السنة تأليف الكتب التي تظهر معتقد السلف الصالح، ومحاربة المذاهب المخالفة والتي تحتوي على الآراء الفلسفية المنحرفة، وقد تنبه علماء السنة إلى هذا الخطر الداهم الذي يهدف إلى إفساد العقيدة الصحيحة، فسعوا بكل جهودهم إلى الرد على تلك الانحرافات بالعلم الصحيح والفكر الواضح الصريح، وكان ممن حمل لواء الرد على الشيعة والباطنية وسائر الفرق الأخرى هو الفقيه أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني (ت٤٠٣هـ /١٠١٢م)[٢].

---

(١) بدوي: التاريخ السياسي: ص٩٦.

(٢) القاضي أبو بكر الباقلاني (٣٣٨-٤٠٣هـ) هو: محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم القاضي أبو بكر الباقلاني البصري، الملقب بشيخ السنة، ولسان الأمة، المتكلم على مذهب أهل السنة والجماعة، وأهل الحديث وطريقة أبي الحسن الأشعري، أحد كبار علماء عصره انتهت إليه رئاسة المذهب الأشعري، كما انتهت إليه رئاسة المالكية في وقته، ويُعد من أكابر أئمة الأشاعرة بعد مؤسسها أبي الحسن الأشعري(الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد: ج٣ ص٣٦٤، ابن خلكان: وفيات الأعيان: ج٤ ص٢٦٩).

وقد عُرف الباقلاني باشتغاله بالدفاع عن العقيدة الإسلامية ضد الطاعنين، والمنحرفين من أصحاب الملل والنحل المخالفة، وقد وقف حياته على أمرين ملكا عليه كل اهتمامه وعنايته، وهما: التدريس والتأليف، وبالنسبة للتدريس فقد كان له تلاميذ كثيرون، وأما التأليف، فقد كان له فيه نصيب موفور[١] إلى جانب اهتمامه بالمناظرات ومن أهم كتبه في مذهب القرامطة والباطنية (كشف الأسرار، وهتك الأستار) والذي بين فيه فضائحهم وقبائحهم ووضح أمرهم لكل أحد ووضوح أمرهم ينبئ عن مطاوي أفعالهم، وأقوالهم، وقد كان الباقلاني يقول في عبارته عنهم، هم قوم يظهرون الرفض ويبطنون الكفر المحض[٢].

وكان من بين هؤلاء العلماء أيضًا الإمام الماوردي[٣] وكان من ضمن مؤلفاته كتاب الإقناع في الفقه الشافعي، وقد كتبه بناءً على رغبة الخليفة القادر

---

(١) من مؤلفاته في هذا الشأن (شرح اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع)، (الإبانة عن إبطال مذهب أهل الكفر والضلالة)، (كيفية الاستشهاد، في الرد على أهل الجحد والعناد)، (الرد على المعتزلة فيما اشتبه عليهم من تأويل القرآن)، (الرد على الرافضة والمعتزلة والخوارج والجهمية)(محمد رمضان عبد الله: الباقلاني وآراؤه الكلامية: رسالة دكتوراه – مطبعة الأمة – بغداد ١٩٨٦م ص: ١٩٦-٢١٥).

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية: ج١١ ص٣٩٨.

(٣) أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري، المعروف بالماوردي نسبة إلى بيع الماورد، الفقيه الشافعي؛ كان من وجوه الفقهاء الشافعية ومن كبارهم أخذ الفقه عن أبي القاسم الصيمري بالبصرة، ثم عن الشيخ أبي حامد الإسفرايني ببغداد، وكان حافظًا للمذهب، توفى عام(٤٥٠هـ) ودفن في مقبرة باب حرب ببغداد، وعمره ٨٦ سنة(الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد: ج ص، ابن خلكان: وفيات الأعيان: ج٣ ص٢٨٣، ٢٨٤) .

بالله حيث طلب من أربعة[١] من أئمة المسلمين في عصره أن يصنف له كل واحد منهم كتابًا مختصرًا على مذهبه، فصنف له الماوردي الاقناع على مذهب الشافعي، وكان للماوردي عدة مؤلفات أخرى منها أدب القاضي، أعلام النبوة، قوانين الوزارة، وسياسة الملك، الأحكام السلطانية الذي اشتهر به الماوردي[٢].

لم تقتصر مؤلفات علماء السنة في عصر القادر بالله على الكتب الشرعية التي كانت على رأس العلوم الذي اشتغل بها معظم علماء أهل السنة والجماعة، فقد كانت للعلوم الاجتماعية والعلوم البحتة نصيب من اهتمام علماء أهل السنة خاصة فيما يتعلق بالعلوم التي اهتم بها الشيعة وعملوا على غواية الناس عن طريقها كعلم الفلك والكلام والأدب وأذكر على سبيل المثال الشاعر أبو الحسن علي بن عيسى المعروف بالسكري[٣](ت٤١٣هـ/١٠٢٢م) وكان من أصحاب القاضي أبي بكر الباقلاني، وكان أديبًا شاعرًا يحفظ القرآن، وكان

(١) وصنف له أبو الحسن القدوري مختصرًا على مذهب أبي حنيفة، وصنف له القاضي أبو محمد عبد الوهاب بن محمد بن محمد مختصرًا على مذهب الامام مالك، وصنف له مختصرًا على مذهب الامام أحمد (فائز صالح اللهيبي: الماوردي و فكره الفقهي والسياسي: بحث منشور – مجلة كلية العلوم الإسلامية – جامعة الموصل – مجلد ٥ – العدد ٩ عام ٢٠١١م ص١٦٧.

(٢) فائز اللهيبي: الماوردي و فكره الفقهي والسياسي: ص١٦٨.

(٣) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد: ج٣ ص٣٦٤.

أكثر شعره في مدح الصحابة والرد على الرافضة والنقض على شعرائهم وكان يطلق عليه شاعر السنة[1].

كان ذلك بلا شك يعكس نوعًا من أنواع التصدي للفكر الشيعي المنحرف.

وكان على رأس المؤلفين الخليفة القادر بالله نفسه، حيث عمد بنفسه إلى إظهار معتقد السلف الصالح، فصنَّف كتابا في الأصول سماه "الاعتقاد القادري" المعروف عام (٤٢٠هـ/١٠٢٩م)، وأقرَّه العلماء، وذلك من أجل إظهار الإسلام والسنة، ففيه تثبيت وتأكيد لعقائد السلف، كما يتضمن ما ينقض مذهب الباطنية الملاحدة، والروافض وسائر أهل البدع.

وتأتي أهمية هذا الاعتقاد في أنه كان يخرج ويقرأ على الناس في المشاهد والمجامع العامة، وفي المساجد والجوامع، وعند حدوث الإضطرابات والنزاعات العقدية بين الفرق والمذاهب، وحمله الحجيج إلى أطراف الأرض، واستمر الحال على ذلك سنين عديدة حتى بعد وفاة الخليفة القادر بالله، فقد ذكر ابن الجوزي في حوادث عام(٤٣٣هـ): أنه في هذه السنة قرىء الاعتقاد القادري في الديوان" وفي حوادث عام (٤٦٠هـ):"أنه اجتمع الأصحاب وجماعة الفقهاء وأعيان أصحاب الحديث في يوم السبت النصف من جمادى

(١) ابن الأثير: الكامل: ج٧ ص٦٧٢،
أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي (ت٧٣٢هـ) المختصر في أخبار البشر: المطبعة الحسينية المصرية – الطبعة: الأولى ج٢ ص١٥٤.

الأولى من سنة ستين بالديوان العزيز، وسألوا إخراج الاعتقاد القادري، وقراءته، فأجيبوا، وقرىء هناك بمحضر من الجمع"[١].

٢- إقامة مجالس الوعظ والإرشاد والمناظرات.

لم يكتف علماء السنة والجماعة بالتأليف ردًا على مفاسد الفرق المنحرفة، وإنما نظموا في مواجهة حركة التشيع المتفاقمة حركة واسعة النطاق تمثلت في عقد مجالس الوعظ والإرشاد والمناظرات العامة في المساجد ودور العلم وبيوت العلماء، وكان الهدف من هذه المجالس والمناظرات محاربة التشيع أولًا والأفكار الأخرى المنحرفة، ثم لتوضيح وتعضيد وحدة الشريعة السمحاء والتركيز على أن الاختلاف بين المذاهب الأربعة عند أهل السنة ليس اختلافًا في الأصول، وإنما في الفروع، حيث استند كل منهم على الكتاب أو السنة ولذلك سميت اختلافاتهم بالمذاهب وليس بالفرق فلا فرق أو فُرقة بين علماء أهل السنة والجماعة، ومما تجدر الإشارة إليه أن دار الخليفة القادر بالله كانت تشهد العديد من المناظرات ومجالس الوعظ التي يحضرها جميع الفقهاء والعلماء، ومن بينها المجلس الذي تكرر عقده في شهري رجب وذي القعدة من عام (٤٢٠هـ/١٠٢٩م) وكان الهدف منه بيان فضائل السنة والصحابة والرد على أهل البدع[٢].

كانت هذه هي سياسة القادر بالله الدينية تجاه المخالفين لمذهب الخلافة، وهو مذهب أهل السنة والجماعة.

---

(١) ابن الجوزي: المنتظم: ج١٥ ص٢٧٩، ج١٦ ص١٠٥.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم: ج١٥ ص١٩٧، ١٩٨.

نتائج البحث

من خلال عرض السياسة الدينية للخليفة القادر يمكن استنتاج الآتي:

– كان البويهيون معولًا من معاول الهدم ضد العقيدة الإسلامية الخالصة.

– حاول البويهيون إلغاء الخلافة العباسية السنية وتحويلها للفاطميين الشيعة ولكنهم تراجعوا عن ذلك بعد أن تبين لهم خطورة الاقدام على هذا الأمر.

– نجح البويهيون في السيطرة على الخلفاء العباسيين قبل القادر بالله والسيطرة على مقاليد الأمور في حاضرة الخلافة العباسية بهدف صبغ المجتمع بالصبغة الشيعية وتفتيت الوحدة والترابط التي تميزه.

– كانت مدينة بغداد في العصر البويهي مركز الصراع بين السنة والشيعة، فمعظم الفتن والاشتباكات الطائفية كانت على أرضها.

– أظهر البويهيون تعصبًا مذهبيًا وسياسيًا، تجلى في مساندتهم للتشيع وشعائره، وتأجيج نار الفتنة بين السنة والشيعة طوال القرنين الرابع والخامس الهجريين/ العاشر والحادي عشر الميلاديين واستمرت تلك الفتن والحروب حتى بعد زوال حكم البويهيين بسبب العدواة والبغضاء التي تولدت في قلوب الطرفين المتصارعين.

– أكدت الدراسة أن الخليفة القادر بالله لم يكن ضعيفًا كأسلافه، ولذلك انتهج تلك السياسة الدينية تجاه المخالفين لمذهب الخلافة العباسية.

– نجح الخليفة القادر بالله في استعادة الكثير من هيبة الخلافة واختصاصاتها في إسناد الشريعة والدفاع عن عقيدة أهل السنة والجماعة.

– أثبتت الدراسة وقوف الخليفة القادر بالله دائمًا إلى جانب أهل السنة وانتصاره لهم وقد تبين هذا من خلال مواقفه من الفتن التي حدثت بين السنة والشيعة، وكان من انتصاره لأهل السنة على سبيل المثال عزل خطباء الشيعة واستبدالهم بآخرين من السنة.

– نجحت سياسة الخليفة القادر بالله الدينية داخليًا والتي تمثلت في مواقفه مع البويهيين والشيعة داخل بغداد وانتصاره لأهل السنة، كما نجح في التشهير بالفاطميين والطعن في نسبهم مما كان له أبلغ الأثر داخليًا وخارجيًا.

– أثبتت الدراسة نجاح السياسة الدينية للخليفة القادر بالله خارجيًا وذلك عن طريق التحالف والاستعانة بالسلطان محمود الغزنوي السني والذي استطاع القضاء على الفرق المخالفة لمذهب الخلافة العباسية، فقبض على المعتزلة والغلاة والروافض ونفاهم الى خراسان ليتخلص الناس من شرهم، وأحرق كتبهم وأمر بلعنهم على المنابر.

– كما استطاع القضاء على دولة الفاطميين في بلاد السند في الملتان عام (٤٠١هـ) وفي المنصورة عام (٤١٦هـ).

– أثبتت الدراسة أن السلطان محمود الغزنوي لم يستجب لتلك المحاولات التي قام بها الفاطميون لاستمالته ومزق كتبهم وأرسل خلعهم للخليفة العباسي القادر بالله ونتيجة لموقف السلطان محمود الغزنوي في التنكيل بأعداء الخلافة السنية توثقت صلته بالقادر بالله مما جعل الأخير يلقبه بأمين الملة ويمين الدولة.

– شجع الخليفة القادر بالله علماء السنة على تصنيف الكتب التي تهتم بالرد على الفرق المخالفة وبيان بطلان مذاهبهم، وكان الخليفة القادر بالله على رأس المصنفين لهذه الكتب وذلك من خلال تأليفه لكتاب الاعتقاد القادري والذي ذكر فيه فضائل الصحابة وفضائل عمر بن عبد العزيز، وبطلان أفكار المعتزلة، والقائلين بخلق القرآن، وكان الكتاب يقرأ في كل جمعة في حلقة أصحاب الحديث بجامع المهدي ويحضر الناس سماعه.

وفي النهاية يمكن القول:

أن الخليفة القادر بالله نجح في إعادة هيبة الخلافة العباسية التي ضاعت على أيدي أسلافه من الخلفاء الذين سبقوه خلال العصر البويهي، كما نجح في محاربة الفرق المخالفة لمذهب الخلافة العباسية السنية وانتصر لمذهب أهل السنة والجماعة فكان عصره امتدادًا لعصر جده المتوكل على الله في نصرة أهل السنة، ولذلك استحق ثناء المؤرخين عليه فقد:" قدر من صلاحها على ما لم يقدر عليه سواه وسلك من طريق الزهد والورع ما تقدّمت فيه خطاه، فكان راهب بني العباس حقًا، وزاهدهم صدقًا ساس الدنيا والدين، وأغاث الإسلام والمسلمين، واستأنف في سياسة الأمر طرائق قويمة، ومسالك مأمونة، لم تعرف منه زلة، ولا ذمت له خلة، فطالت أيامه، وطابت أخباره، وأقفيت آثاره، وبقيت على ذريته الشريفة أنواره"(١).

(١) مسكويه: تجارب الأمم وتعاقب الهمم: ج٧ ص٢٤٧.

المصادر والمراجع

أولًا: المصادر:

- ابن الأثير، عز الدين علي بن أبي الكرم محمد بن محمد (ت٦٣٠هـ):

١- الكامل في التاريخ: تحقيق/ عمر عبد السلام تدمري: دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٧م (١٠ أجزاء).

- الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله (ت٤٣٠هـ):

٢- الإمامة والرد على الرافضة: تحقيق/ علي بن محمد بن ناصر الفقيهي – مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة – الطبعة: الأولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

- الاصطخري، أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي (ت٣٤٦هـ):

٣- المسالك والممالك: دار صادر – بيروت – ٢٠٠٤م.

البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت٢٧٩هـ):

٤- فتوح البلدان: دار ومكتبة الهلال – بيروت ١٩٨٨م.

- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم (ت٧٢٨هـ):

٥- مجموع الفتاوى: تحقيق/ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم: مجمع الملك فهد - المدينة النبوية - المملكة العربية السعودية - ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ):

٦- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك: تحقيق/ محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ١٤١٢هـ/١٩٩٢م (١٩ جزء)

- أبو حامد الغزالي، محمد بن محمد (ت ٥٠٥هـ):

٧- فضائح الباطنية: تحقيق/ عبد الرحمن بدوي - مؤسسة دار الكتب الثقافية - الكويت.

- أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس (ت نحو ٤٠٠هـ):

٨- الإمتاع والمؤانسة: المكتبة العنصرية - بيروت - الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ

- الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٣هـ):

٩- تاريخ بغداد: تحقيق/ بشار عواد - دار الغرب الإسلامي - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م (١٦ جزء).

- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد(ت ٨٠٨هـ):

١٠- العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر: تحقيق/ خليل شحادة - دار الفكر - بيروت - ط٢- ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م(٨ أجزاء).

- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت ٦٨١هـ):

١١- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: تحقيق/ إحسان عباس - دار صادر - بيروت - الطبعة الأولى ١٩٩٤م(٧ أجزاء).

- ابن دحية، أبو الخطّاب عُمر ابن دِحية بن خليفة الكَلْبِيُّ(ت٦٣٣هـ):

١٢- النبراس في تاريخ بني العباس: تحقيق/ المحامي عباس العزاوي: مطبعة المعارف - بغداد ط١ - ١٣٢٥هـ/١٩٤٦م.

- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت٧٤٨هـ):

١٣- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: تحقيق/ عمر عبد السلام التدمري - دار الكتاب العربي - بيروت - الطبعة: الثانية ١٤١٣هـ/١٩٩٣م (٥٢ جزء)

١٤- سير أعلام النبلاء: تحقيق/ مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط: مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان - الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م (٢٥ جزء).

- الزَّبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني (ت ١٢٠٥هـ):

١٥- تاج العروس من جواهر القاموس: دار الفكر - بيروت ط١- ١٤١٤هـ (٢٠ جزء).

- سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قِزْأُوغلي (ت٦٥٤هـ):

١٦- مرآة الزمان في تواريخ الأعيان: حقق هذا الجزء / محمد أنس الخن، كامل محمد الخراط - دار الرسالة العالمية - دمشق - سوريا الطبعة: الأولى ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م (٢٣ جزء).

- السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن علي (ت٧٧١هـ):

١٧- طبقات الشافعية الكبرى: تحقيق/ كمال يوسف الحوت - دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ):

١٨- تاريخ الخلفاء: تحقيق/ محمد محي الدين عبد الحميد - مطبعة السعادة - مصر - الطبعة الأولى ١٣٧١هـ/١٩٥٢م.

- ابن شاكر الكتبي، محمد بن أحمد بن عبد الرحمن (ت٧٦٤هـ):

١٩- فوات الوفيات: تحقيق/ إحسان عباس: دار صادر - بيروت - ط١- ١٩٧٣م (٤ أجزاء).

- الشريف الرضي، أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى(ت٤٠٦هـ):

٢٠- ديوان الشريف الرضي: تحقيق/ محمود مصطفى حلاوي: دار الأرقم - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٩م (جزآن).

- الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد (ت ٥٤٨هـ):

٢١- الملل والنحل: تحقيق/ محمد سيد كيلاني دار المعرفة - بيروت - ١٤٠٤هـ (جزآن).

- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت٧٦٤هـ):

٢٢- الوافي بالوفيات: تحقيق/ أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى - دار إحياء التراث - بيروت ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م (٢٩ جزء).

- ابن الصلاح، تقي الدين عثمان بن عبد الرحمن (ت٦٤٣هـ):

٢٣- طبقات الفقهاء الشافعية: تحقيق/ محيي الدين علي نجيب: دار البشائر الإسلامية - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ١٩٩٢م (جزآن).

- ابن طباطبا، محمد بن علي (ت٧٠٩هـ):

٢٤- الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية: تحقيق/ عبد القادر محمد مايو - دار القلم العربي - بيروت - الطبعة الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد (ت ٣١٠هـ):

٢٥- تاريخ الرسل والملوك: دار التراث - بيروت - الطبعة الثانية ١٣٨٧هـ (١٠ أجزاء).

• ابن العبري، غريغوريوس يوحنا ابن هارون بن توما الملطي (ت٦٨٥هـ):

٢٦- تاريخ مختصر الدول: تحقيق/ أنطون صالحاني – دار الشرق – بيروت – الطبعة الثالثة ١٩٩٢م.

• العتبي، أبو نصر محمد بن عبد الجبار (ت٤٢٧ هـ):

٢٧- اليميني: تحقيق/ إحسان ذنون عبد اللطيف الثامري – دار الطليعة – بيروت – الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

• ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد (ت١٠٨٩هـ):

٢٨- شذرات الذهب في أخبار من ذهب: تحقيق/ محمود الأرناؤوط – دار ابن كثير – دمشق – بيروت – الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م (١١ جزء).

• ابن فارس، أحمد بن زكريا القزويني (ت ٣٩٥هـ):

٢٩- مجمل اللغة: دراسة وتحقيق/ زهير عبد المحسن سلطان – الرسالة – بيروت الطبعة الثانية١٤٠٦هـ /١٩٨٦م (جزآن).

• أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي (ت٧٣٢هـ)

٣٠- المختصر في أخبار البشر: المطبعة الحسينية المصرية – الطبعة: الأولى (٤ أجزاء).

• ابن الفوطي، كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق (ت٧٢٣ هـ):

٣١- مجمع الآداب في معجم الألقاب: تحقيق/ محمد الكاظم: وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي - إيران - الطبعة الأولى ١٤١٦هـ (٦ أجزاء).

- عبد القاهر البغدادي، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد (ت٤٢٩هـ):

٣٢- الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية: دار الآفاق الجديدة - بيروت - الطبعة الثانية ١٩٧٧م.

- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت٧٧٤هـ):

٣٣- البداية والنهاية: تحقيق/ علي شيري: دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م (١٤ جزء).

- الماتريدي، أبومنصور محمد بن محمد (ت٣٣٣هـ):

٣٤- التوحيد: تحقيق/ فتح الله خليف ـــ دار الجامعات المصرية - الإسكندرية.

- المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت نحو ٣٨٠هـ)

٣٥- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم: دار صادر - بيروت ١٩٨٠م.

- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر (ت٨٤٥هـ):

٣٦- اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء: تحقيق/ جمال الدين الشيال – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي – ط١ (٣ أجزاء).

٣٧- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار: دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى ١٤١٨هـ (٤ أجزاء).

- مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب(ت٤٢١هـ):

٣٨- تجارب الأمم وتعاقب الهمم: تحقيق/ أبو القاسم إمامي – سروش – طهران – الطبعة: الثانية ٢٠٠٠م (٧ أجزاء).

- المُطَرِّزِيّ، أبو الفتح ناصر الدين بن عبد السيد بن علي (ت٦١٠هـ):

٣٩- المغرب في ترتيب المعرب: تحقيق/ محمود فاخوري و عبدالحميد مختار – مكتبة أسامة بن زيد – حلب – الطبعة الأولى ١٩٧٩م (جزآن).

- المسعودي، أبي الحسين علي بن الحسين(ت٣٤٦هـ):

٤٠- مروج الذهب ومعادن الجوهر: تحقيق/ كمال مرعي – المكتبة العصرية – صيدا – بيروت – الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م (٤ أجزاء).

- ابن الوردي، عمر بن مظفر بن عمر بن محمد (ت٧٤٩هـ):

٤١- تاريخ ابن الوردي: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط١-١٤١٧هـ/١٩٩٦م (جزآن).

- الهروي، أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري (ت٣٧٠هـ):

٤٢- تهذيب اللغة: تحقيق/ محمد عوض مرعب - دار إحياء التراث العربي - بيروت - الطبعة الأولى ٢٠٠١م (٨ أجزاء).

- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله (٦٢٦هـ):

٤٣- معجم البلدان: دار صادر - بيروت - الطبعة الثانية ١٩٩٥م (٧ أجزاء).

- اليعقوبي، أبو العباس أحمد بن إسحاق بن واضح (ت٢٨٤هـ):

٤٤- تاريخ اليعقوبي: طبعة ليدن ١٨٨٣م.

ثانيًا: المراجع.

- الأشقر، عمر (دكتور):

٤٥- القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة: دار النفائس - الكويت ١٩٨٠م.

- إيناس البهجي (دكتور):

٤٦- تاريخ الدولة العباسية: مركز الكتاب الأكاديمي - عمان - الأردن - ٢٠١٧م.

- الأميني، عبد الحسين أحمد:

٤٧- الغدير في الكتاب والسنة والأدب: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - لبنان - ط١ -١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

- بدوي، عبد المجيد أبو الفتوح (دكتور):

٤٨- التاريخ السياسي والفكري للمذهب السني في المشرق الاسلامي من القرن الخامس الهجري حتى سقوط بغداد: دار الوفاء - المنصورة - مصر - الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م

- جعفريان، رسول (دكتور):

٤٩- المسار الفكري بين المعتزلة والشيعة: ترجمة/ خالد توفيق - دار الصفوة - بيروت ١٩٩٣م.

- الجهني، مانع بن حماد:

٥٠- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: دار الندوة العالمية للنشر- الطبعة: الرابعة ١٤٢٠هـ (جزآن).

حسين، محمد كامل (دكتور):

٥١- طائفة الإسماعيلية تاريخها - نظمها - عقائدها: دار النهضة المصرية - القاهرة - ط١ - ١٩٥٩م

- دفتري، فرهاد:

٥٢- الاسماعيليون تاريخهم وعقائدهم: ترجمة/ سيف الدين القصير - دار الساقي - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ٢٠١٢م.

- دُوزِي، رينهارت (ت١٣٠٠هـ):

٥٣- تكملة المعاجم العربية: ترجمة/ محمَّد سَليم النعَيمي - وزارة الثقافة والإعلام - العراق - الطبعة الأولى من ١٩٧٩-٢٠٠٠م (١١ جزء).

- ديورَانت، وِل:

٥٤- قصة الحضارة: ترجمة/ زكي نجيب محمُود وآخرين: دار الجيل - بيروت - لبنان، المنظمة العربية - تونس ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م

- الزبيدي، محمد حسين (دكتور):

٥٥- العراق في العصر البويهي: دار النهضة العربية - القاهرة - ١٩٦٩م.

- الزركلي، خير الدين بن محمود(ت١٣٩٦هـ):

٥٦- الأعلام: دار العلم للملايين - بيروت - لبنان - ط١٥- ٢٠٠٢م.

- سرور، محمد جمال الدين (دكتور):

٥٧- النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق في القرنين الرابع والخامس بعد الهجرة: دار الفكر العربي - القاهرة .

٥٨- النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب: دار الفكر العربي - القاهرة - ١٩٩٣م.

- العبدة، محمد:

٥٩- أيعيد التاريخ نفسه؟ المنتدى الإسلامي - الطبعة الثالثة ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

- عنان، محمد عبد الله (دكتور):

٦٠- الحاكم بأمر الله: مكتبة الخانجي - القاهرة - دار الرفاعي - الرياض ط٣-١٤٠٤هـ /١٩٨٣م

- عواجي، غالب بن علي:

٦١- فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منهـــا: المكتبة العصرية – جدة – الطبعة الرابعة ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

- متز، آدم:

٦٢- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري: ترجمة/ محمـــد عبد الهادي أبو ريده – دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان – الطبعـــة الخامسة (٣ أجزاء).

- المدنى، السيد على خان:

٦٣- الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة: تحقيق/ السيد محمد صادق – منشورات مكتبة بصيرتي – قم – إيران – ١٣٩٧م.

- مقديش، محمود:

٦٤- نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار: تحقيـــق/ علـــي الزواري – دار الغرب الاسلامي، بيروت – لبنـــان – الطبعـــة الأولـــى ١٩٨٨م (جزآن).

- نيفين رجب:

٦٥- الخليفة القادر بالله العباسي وسياسته الداخلية والخارجية: نوابغ الفكر – القاهرة – الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

ثالثًا: الرسائل والدوريات والمقالات.

- الجوارنة، أحمد:

٦٦- جهود السلطان محمود الغزنوي في نشر الإسلام الســـني فـــي اواسط آسيا، إيران، أفغانستان، والهند (٣٨٧-٤٢٢هـ/٩٩٨-١٠٣٠م):

مجلة مؤتة للبحوث والدراسات والعلوم الانسانية والاجتماعية – الأردن – مجلد ١١ العدد ٢ لعام ١٩٩٦م.

- سفر الحوالي:

٦٧- مقال بعنوان(تبني الشيعة لمذهب المعتزلة): موقع الشيخ سفر الحوالي.

- العامري علي فيصل:

٦٨- السياسة الخارجية للدولة الفاطمية (٣٥٨-٤٢٧هـ/٩٦٨-١٠٣٥م): رسالة ماجستير منشورة – جامعة الكوفة ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

- عبد العزيز بن محمد بن علي:

٦٩- تشيع لا قادر له: المنتدي الاسلامي – مجلة البيان – العدد ٢٦١ لعام ٢٠٠٩م.

- العيسى، محمد صياح:

٧٠- المعتزلة في العصر البويهي: مجلة المنارة – جامعة آل البيت – الأردن – مجلد ٢١- العدد الثالث لعام ٢٠١٥.

- محمد رمضان عبد الله:

٧١- الباقلاني وآراؤه الكلامية: رسالة دكتوراه – مطبعة الأمة – بغداد ١٩٨٦م.

- معتوق، رشاد:

٧٢- الحياة العلمية في العراق خلال العصر البويهي: رسالة دكتوراة منشورة – جامعة أم القرى – مكة المكرمة – ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

- اللهيبي، فائز صالح:

٧٣- الماوردي و فكره الفقهي والسياسي: بحث منشور – مجلة كلية العلوم الإسلامية – جامعة الموصل – مجلد ٥ – العدد ٩ عام ٢٠١١م.